آفاق المعرفة
AFAQ ALMAAREFA

كيف نجعل من بيوتنا سكنًا؟

وقفات ولطائف في تربية البيوت والمخاطر التي تهددها



أ.د. سليمان بن حمد العودة

كيف نجعل من بيوتنا سكنًا؟

وقفاتٌ ولطائفُ في تربيةِ البيوتِ والمخاطرِ التي تهددها

كيف نجعل من بيوتنا سكنا؟

وقفات ولطائف في تربية البيوت والمخاطر التي تهددها

أ.د. سليمان بن حمد العودة

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

بين يدي الكتاب

هذا الكتاب (**كيف نجعل من بيوتنا سكنًا؟**) وقفات حول البيوت وتربيتها، والتحديات التي تواجهها، رُصد فيه أكثر من طريقة وآلية لتربية البنين والبنات، كما رُصد فيه بعض المخاطر التي تهدد البيوت، وبه بيان لآثار التربية وثمارها.

لا يستهدف الكتاب شريحة معينة، بل يوجَّه لكل حريص على التربية واستصلاح البيوت، وتلمس سبيل الإصلاح.

وهذا الكتاب خطوة عملية في الإصلاح، واستثمار أمثل في البيوت والذرية، يتجاوز التلاوم والتحسر والإحباط على خطط الأعداء لإفساد البيوت المسلمة، ويُعنى بالعمل المثمر وتحديد المسار، واعتبار البيوت والتربية فيها (مشاريع) تستحق الاهتمام والعمل.

ليس الهدف من الكتاب مجرد الثقافة، بل للاستفادة مما يسوغ للقارئ ويتفق من طرائق وآليات التربية، فإن رأى طرائق

أخرىٰ ووسائل للتربية لم تُذكر فالمجال رحب والهدف واحد (الإصلاح)، وحسب الكتاب أن يقدح زناد رعاية البيوت، وتربية ساكنيها، ويُنبه للمخاطر التي تحيط بها، وكيف النجاة والخلاص منها.

والكتاب ليس وحيدًا في بابه، بل هو مشاركة ومحاولة لجمع نصوص عزيزة في التربية، ورصد تجارب قديمة ومعاصرة في تربية البيوت، ليست مثالية التطبيق، بل في حكم المقدور عليه، حتىٰ لا يُعذر أحد في إصلاح بيته وتربية أهله وولده.

أسأل الله عموم النفع به، وبلوغ أجره لمن كتبه وقرأه، ومارس التربية في بيته لأهله وولده، كما أسأله أن يحفظنا وبلادنا والمسلمين من كل فتنة ومكروه.

أ.د. سُليمان بن حمد العودة

القصيم/ بريدة ١٤٤١هـ

ج٠٥٠٥١٤٣٤٩١

المقدمة

لماذا الحديث عن البيوت؟

البيوت مكان السكن والراحة والطمأنينة ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠]، وهي وعاء التربية الأول، ومنطلق الإصلاح، والحصون الأولىٰ، إنها محضن الأسرة، شعار ودثار المجتمع الإسلامي، حيث يضعف بنيانها في المجتمعات الأخرىٰ.

ومهما كثر الحديث وألفت الكتب عن البيوت والأسرة، فلا تزال الحاجة قائمة إلىٰ المزيد، والتنوع في الطرح، بالقدر الذي يحصل في البيوت من الإهمال والغفلة.

ودواعي الحديث عن البيوت كثيرة أذكر منها ما يأتي:

١. الاستجابة لنداء الحق تبارك وتعالىٰ بالوقاية من عذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ...﴾ [التحريم: ٦]، وإنما تكون الوقاية بحمل الأهل والذرية علىٰ طاعة الله، واجتناب محارمه، وهذه وتلك إنما تتوافر بالتربية ورعاية البيوت، والشعور بالمسؤولية والتبعة (كلكم راعٍ وكلكم

مسؤول عن رعيته)[1]، (إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع، حتىٰ يسأل الرجل عن أهل بيته)[2].

٢. ونداء الفطرة، ومطلب العقلاء بنظافة بيوتهم (حسًّا ومعنىٰ) وتطلعهم إلىٰ أن تكون بيوتهم ومن فيها أرقىٰ وأعلىٰ وأميز (عقولًا وأجسامًا)، وإذا كان الله أودع فيمن لا يعقل غريزة الحفاظ علىٰ بيوتها وحماية أولادها، فمن يعقل أحرىٰ وأولىٰ.

٣. وكانت البيوت ولن تزال -بإذن الله- الحصون الأولىٰ، والمصدات للغارات، إذ فيها تتشكل أسس الوعي، وفيها تنشأ المروءات، وتُسقىٰ شجرة مكارم الأخلاق، ومنها تخرج العلماء والنبلاء، وتربىٰ القادة والأشراف... ومكانٌ هذا شأنه حريٌّ بالاهتمام، ومرشَّح لأن يكون العمل فيه (تربية وإصلاحًا) (مشروع عُمر)، ويستحق كل جهد، ويُستلذ كل تعب، وتُذلل الصعاب.

٤. استهداف البيت والأسرة المسلمة في زمن (العولمة)، وغزو الفضائيات، وثورة المعلومات ووسائل التواصل المختلفة، ما يستدعي شدَّ الأحزمة، والعمق في التربية، والثبات

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥٢٠٠) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي عقب (ح/ ١٧٠٥)، والنسائي في الكبرىٰ (ح/ ٩١٢٩)، وابن حبان في صحيحه (ح/ ٤٤٩٢)، وحسنه، عن أنس ﷺ مرفوعًا، ورُوي عن قتادة عن الحسن ﷺ عن النبي ﷺ مرسلًا، وهو الصَّحيح كما يقول البخاري.

في معركة التحدي ومقاومة التقليد الأبله، حيث بات المنافسون في التربية هيئات ومؤسسات، ومراكز تعتمد التخطيط ورسم الإستراتيجيات، ومن هنا يتأكد الحديث عن البيوت (دفعًا، ورفعًا) و(وقاية، وعلاجًا).

٥. وفي العناية بالبيوت والاهتمام بها دفع للإحباط واليأس، ورفع لمستوىٰ العمل والإنجاز (المقدور عليه) في زمن الانكسار والاستسلام، وبدل الاشتغال بالتشكي ولوم الأعداء يُصار إلىٰ العمل المُنتج، ورفع مستوىٰ الفأل (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم)[١].

٦. ومع الشعور بالمسؤولية في أهمية التربية للبيوت وحمايتها، فثمة غفلة وذهول -عند البعض- وضعف في التربية، وانشغال بالأدنىٰ عن الأعلىٰ، نتج عنه شرود وفساد، بات الأولياء يئنون من وقعه، وسبيل إصلاحه التربية والاهتمام وإعادة الأدوار الإيجابية للبيوت، وتصحيح المسار.

٧. وللحق والعدل فثمة وعي، وشعور بالمسؤولية، وقطار الإصلاح يسير، والشعور بالعزة يتنامىٰ، وهذه المشاعر الإيجابية والقيم النبيلة حَرِية بالتقدير والاحترام، والمساهمة في رسم المسار، وتشكيل خريطة طريق الإصلاح.

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٢٦٢٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٨- وثمار هذا الوعي، ومخرجات البيوت المطمئنة، تُحفز وتشجع علىٰ العناية بالبيوت وتربية أفرادها، فهم في الدنيا زينة وفخر وجمال، وهم في الآخرة ذخر ومثوبة، ودعاء وبرٌّ وصلة، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، وذكر منها (ولد صالح يدعو له)(١).

٩- ومن قبل ومن بعد تظل البيوت مسكننا وراحتنا، ومكان أكلنا وشربنا ومنكحنا، ومستودع أسرارنا، وملاذنا في حال السراء والضراء، وأفضل أمكنتنا حين الفتنة والبلاء، وقد روي في الخبر: (طوبىٰ لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكىٰ علىٰ خطيئته)(٢).

فهي بذلك تستحق عنايتنا، ولا يُستكثر عليها شيء من جهودنا وتربيتنا.

١٠- وحيث توجد نصوص في الكتاب والسنة، ونماذج في السيرة النبوية للحديث عن البيوت، والعناية بها، وتكشف الأهداف والآثار، توجد تجارب معاصرة وناجحة في تربية البيوت، وجمع هذه النصوص والتجارب كلها والربط بينها، والاستضاءة بمعالمها، شيء عظيم يستحق العناية والوقفة والتأليف.

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ١٦٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (ح/ ٢٣٤٠)، والصغير (ح/ ٢١٢) وحسنه، عن ثوبان ﷺ، وأبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤/ ١٤).

مقدمات ولطائف للبيوت

أنواع البيوت وتفاضلها:

يحسن التعرف علىٰ أنواع من البيوت جاء ذكرها في الكتاب والسنة أو السيرة النبوية، وهي تتعدد وتتفاضل، ومن ذلك:

١. **بيوت الله** -وهي أكرم البيوت وأعظمها-:

ومنها ما هو في السماء كما قال تعالىٰ: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:٤]، قال علي وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما: هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه(١)، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ رُفع إليه البيت المعمور (في حادثة الإسراء والمعراج)، وأن جبريل أخبره أن هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه(٢).

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح/ ١٦٢) من حديث أنس ﷺ، وأصله في البخاري (ح/ ٧٥١٧) ومواضع أخرىٰ.

ومنها ما هو في الأرض، وهي المساجد ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ... ﴾[النور:٣٦-٣٧]، وأعظم هذه المساجد وأولها: المسجد الحرام ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦]، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ[١]، وكم هو محظوظ ومغبوط من أكثر الصلاة فيه، ويليه مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه[٢]، وكذلك محظوظ من استزاد من الصلاة فيه، ويليهما المسجد الأقصىٰ -حرره الله- والصلاة فيه بخمسمائة صلاة[٣] -رزقنا الله صلاة فيه قبل الممات، وفكَّه من أسر الغاصبين- ثم سائر المساجد في الأرض من حيث هي مكان للعبادة والعلم والتعلم، ومن عُلق قلبه بالمساجد فهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ١١٩٠)، ومسلم (ح/ ١٣٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث السابق، وهو متفق عليه.

(٣) أخرجه البزار في المسند (ح/ ٤١٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: هذا الحديث حسن الإسناد.

(٤) أخرجه البخاري (ح/ ٦٦٠) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ١٠٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. **بيوت الأنبياء السابقين صلىٰ الله عليهم وسلم:**

فنوح عليه الصلاة والسلام يدعو بالمغفرة له، ولوالديه، ولمن دخل بيته مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨]، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو حين أسكن ذريته بوادٍ غير ذي زرع -بأمر الله- ويقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]، وموسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام حين ضيق عليهما المجرمون في العبادة يُوحىٰ إليهما ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس:٨٧]، والمعنىٰ: اجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها(١).

٣. **بيوت النبي محمد ﷺ:**

وهي حجرات أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهي التي تُتلىٰ فيها آيات الله والحكمة، وهي أطهر بيوت هذه الأمة وأزكاها، ولها آدابها وأحكامها.

٤. **بيوت خير القرون** صحابة رسول الله ﷺ و، وهي الأخرىٰ بيوت إيمان وعلم ودعوة وإحسان، ويكفي الإشارة إلىٰ نموذجين

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٥٩٥).

منها: في مكة حيث (دار الأرقم بن الأرقم ﷺ)[1] منطلق الدعوة، ومحل اجتماع المؤمنين، وفي المدينة (دار أبي أيوب الأنصاري) ﷺ، حيث سكنها النبي ﷺ أول مقدمه المدينة[2]، وبالجملة فبيوت الصحابة في أي مكان نماذج للطهر والإيمان والعفاف، وسيأتي الحديث عن بعضها.

٥. **بيوت المسلمين عمومًا**، عبر تتابع الزمان واختلاف المكان، وهي المقصودة بحديثنا.

٦. **بيوت من لا يعقل:**

وثمة بيوت لخلق من خلق الله لا يعقلون، لكن لحكمة وغاية جاء ذكرها في القرآن الكريم، (فالعنكبوت) اتخذت بيتًا وإن كان بيتها أوهىٰ البيوت ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١]، وقد ضرب الله المثل في بيتها لمن اتخذ من دون الله آلهة لا تنفعه ولا تضره -وهم المشركون- وكذا بيت العنكبوت لا يقيها حرًّا ولا بردًا[3].

كما جاء ذكر بيوت (النحل) للعبرة، فهي أشد تماسكًا، ولا خلل في بيتها، والنحل وإن طافت في الجبال والشجر، وطارت في

---

(١) انظر الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٣/ ٢٤٢).

(٢) أخرج الحديث البخاري (ح/ ٣٩١١)، ومسلم (ح/ ٥٢٤) من حديث أنس ﷺ.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٤٩).

البراري الشاسعة، والأودية السحيقة، فهي تعود إلىٰ بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، وتبني الشمع من أجنحتها وتقي العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها[1]، وفي ذلك آية وعبرة.

وإذا كانت عناية القرآن ببيوت من لا يعقل، فعلىٰ من يعقلون أن يهتموا ببيوتهم، ويحسنوا إلىٰ ساكنيها، ويحكموا التربية والإصلاح فيها.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩٣٧).

البيوت في القرآن الكريم

تتعدد أغراض البيوت ومنافعها في آيات القرآن الكريم، وثمة لطائف وأسرار للبيوت حَرية بالتأمل والتدبر، ومن ذلك:

١ . البيوت نعمة:

يقول الله تعالىٰ في معرض الحديث عن نعم الله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل:٨٠]؛ أي من تمام نعمته علىٰ عباده أن جعل لهم هذه البيوت يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع[١]، ولا شك أن الذين فقدوا نعمة البيوت -من المشردين واللاجئين- يحسون بهذه النعمة ربما أكثر من غيرهم، فاللهم آوِ كل مشرد من المسلمين.

٢ . والبيوت مكان للادخار ومخزن الأسرار:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩]، والآية وإن جاءت في سياق معجزات عيسىٰ عليه السلام إلا أنها تكشف عن مهمة (الادخار) من الأطعمة في البيوت،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٩).

إذ منه ما يؤكل في يومه، ومنه ما يُدخر لغدٍ أو بعده[1]، والبيوت بجدرانها وسقفها مستودع لسر أهل البيوت، فلا يُعلم ما في بيوتهم من الطعام قلَّ أو كثر، كفىٰ أو لم يسد الحاجة، وهذا سرٌّ وسترٌ من الله لأهل البيوت حتىٰ لا يشمت بهم الشامتون، فلله الحمد علىٰ ستر الله لنا في بيوتنا.

٣. والبيوت مكان للعبادة حين يُضيق علىٰ المسلمين عبادتهم في المساجد، فيُؤمرون أن يتخذوا من بيوتهم أماكن للصلاة ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس:٨٧]، وقد سبق البيان.

٤. والبيوت مكان للعقوبة وتقليص فرص الفساد:

ألا ترىٰ الله يقول: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥]، قال القرطبي: هذه أول عقوبات الزناة، وكان هذا في ابتداء الإسلام، ثم نُسخ ذلك[2]، وقال ابن كثير: نُسخ ذلك بسورة النور بالجلد أو الرجم، وهذا أمرٌ متفق عليه[3].

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٩٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٨٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٤).

٥. والبيت مكان لعدة المرأة المطلقة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ ..﴾ [الطلاق:١]، ولعل من حِكم ذلك: أنها أحفظ للأعراض، فإن المطلقة يكثر التفات العيون إليها، وقد يتسرب سوء الظن إليها فيكثر الاختلاف عليها ولا تجد ذا عصمة يذب عنها، فلذلك شُرعت لها السكنى[١].

٦. والبيوت لضرب الأمثال والعبرة -وقد سبق البيان ببيت العنكبوت والنحل-.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٢٨/ ٣٠٤)، وانظر: البيوت في الكتاب والسنة: الزيد (ص٢٦١) وفيه مزيد تفصيل.

بيوت لها شأن وأثر في زمن النبوة

يصعب حصر جميع البيوت الإيمانية التي كان لها أثر في مجريات التاريخ، وحسبي هنا أن أشير إلىٰ شيء منها في زمن النبوة مع ما تحمله من دلالات وعبر:

١ . **دار الأرقم بن الأرقم** ﷺ منطلق الدعوة في ظروفها الصعبة:

وتقع فوق الصفاء، وصاحبها الأرقم ﷺ وإن كان من شباب الصحابة -حينها- فهو من السابقين إلىٰ الإسلام[١]، وقد اكتسبت هذه الدار شهرتها من كونها مأوىٰ للمسلمين في المرحلة السرية بمكة، ومنطلقًا للدعوة في ظروفها الصعبة، يجتمع المؤمنون فيها يتعلمون ويتشاورون، وقد أسلم فيها قوم كثر، فلما أسلم عمر ﷺ خرجوا من الدار فكبروا وطافوا بالبيت ظاهرين[٢].

٢ . **بيت أبي بكر الصديق** ﷺ، وحدث الهجرة الكبرىٰ:

وهذا البيت منه انطلقت رحلة الهجرة الكبرىٰ التي غيرت مجرىٰ التاريخ، فمن هذا البيت خُطط وجُهز للهجرة من مكة

---

(١) الذهبي: السير (٢/ ٤٧٩).

(٢) ابن سعد: الطبقات (٣/ ٢٤٢، ٢٤٣).

إلىٰ المدينة، وفي البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: بينما نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبوبكر: فدىً له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر[1].

وبدأ رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه يخططون ويستعدون للهجرة، ومما يلفت النظر أن بيت أبي بكر وآله رضي الله عنهم ساهموا في حدث الهجرة (صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، ومواليهم)، فمنهم من جهز (ذات النطاقين رضي الله عنها)، ومنهم من يبيت معهم ويتحسس الأخبار (عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما)، ومنهم من يرعىٰ الغنم لإعفاء الأثر، وتزويدهم باللبن (عامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر رضي الله عنه)[2].

وهكذا يجتمع هذا البيت الكريم علىٰ خدمة رسول الله ﷺ وتسيير رحلة الهجرة الكبرىٰ، فأكرِم به من بيت، وأنعِم بتربية أبي بكر لأهله ومواليه رضي الله عنهم، وكذلك فلتكن البيوت المؤمنة.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (ح/ ٣٩٠٥)، ومسند أحمد (٦/ ٣٤٦)، وابن سعد: الطبقات (٨/ ٢٥٠).

(٢) انظر للمزيد: المختصر من صحيح السيرة، أ. د. سليمان العودة (ص١٦٦).

٣. **بيت أبي أيوب الأنصاري** ﷺ أول سكن للنبي ﷺ في المدينة:

وهذه الدار في المدينة، وكان لها شرف احتضان وإيواء رسول الله ﷺ أول مقدمه المدينة، وقد ثبت نزوله ﷺ في فناء أبي أيوب ﷺ في الصحيحين[١].

وكان لأبي أيوب (خالد بن زيد ﷺ) شرف السبق إلىٰ أخذ رحله ﷺ وإدخاله إلىٰ منزله، فقال ﷺ: (المرء مع رحله)، وكان مقامه ﷺ في هذه الدار سبعة أشهر[٢]، ولكم أن تتصوروا ما جرىٰ في هذه الدار من فضائل، وضيفها رسول الله ﷺ والمضيف من خيار الأنصار!

٤. **بيت أنس بن مالك** ﷺ معقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

وأنس ﷺ خادم رسول الله ﷺ، ربَّته أمه في بيتها أحسن تربية حتىٰ أودعته رسول الله ﷺ ليخدمه[٣]، فانتقل من بيت كريم (نموذج للتربية) إلىٰ بيت النبوة -وهو أكرم البيوت-، ومن دروس ذلك دور المرأة في تربية الناشئة.

ثم كان لبيت أنس ﷺ -فيما بعد- شرف عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وفي البخاري ومسلم عن أنس ﷺ: حالف

---

(١) البخاري (ح/ ٣٩١١)، ومسلم (ح/ ٥٢٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٢) ابن سعد: الطبقات (١/ ٢٣٧).
(٣) انظر: صحيح مسلم (ح/ ٢٤٨١).

النبي ﷺ بين قريش والأنصار في داري[1].

وعند ابن سعد: حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس رضي الله عنه[2]، ولكم أن تتصوروا عِظم هذه المهمة -في المؤاخاة- وهي تنطلق من بيت أنس بن مالك رضي الله عنه، ألا نعمت المعاهدة، ونعمت الدار.

ويطول الحديث لو ذهبنا نستقصي أثر بيوت الصحابة، وحسبنا أن نتأمل في آثارها، فهذه البيوت خلَّفت لنا جهابذة أعلامًا في العلم والدعوة والجهاد، أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وأمثالهم كثير، ما يؤكد أن بيوتات الصحابة كان كل بيت فيها محضن للتربية[3].

٥. بيت رملة بنت الحارث الأنصارية النجارية رضي الله عنها، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة رضي الله عنه:

وفي بيتها حُبس (بنو قريظة) حين حكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه[4].

وذكرت كتب الطبقات والتراجم أدوارًا أخرىٰ لبيت رملة رضي الله عنها، فعدد من الوفود التي قدمت علىٰ النبي ﷺ كانوا ينزلون في

---

(١) البخاري: (ح/ ٦٠٨٣)، ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٢٠٥٢).
(٢) الطبقات (١/ ٢٣٩).
(٣) انظر: د. سلمان العودة: دعاة في البيوت (ص١٣، ١٤).
(٤) ابن حجر: الإصابة (١٢/ ٢٥٩، ٢٦٠).

بيتها، وفي بيتها كُتب الكتاب بين الرسول ﷺ واليهود، كما أُودع في دارها أثاث ومتاع وثياب بني قريظة، وأُنزلت في دارها (سفانة رضي الله عنها) أخت عدي بن حاتم ﷺ -من سبي طي- إلىٰ غير ذلك من أمور ومهام لهذه الدار[1].

وبالجملة، فيلحظ المتأمل كثرة وشمولية بيوت الصحابة للخدمة، في العصر المكي والمدني، ولكبار الصحابة وصغارهم، وللرجال والنساء، ما يوحي بأن بيوت الصحابة كانت تؤدي أدوارًا في خدمة الإسلام، وتربية من يسكن هذه البيوت، ومشاركتهم الفاعلة في الحياة.

---

(١) للمزيد انظر: د. سليمان العودة: المختصر من صحيح السيرة (ص٣٨٦).

عناية الإسلام المبكرة بالبيوت

١. اختيار الزوجين:

فالزوجان هما (عماد) البيوت، ومن أسَّس بيته علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان ليس كمن أسسه علىٰ شفا جُرف هارٍ، ولئِن كان التوفيق من الله فلا بد من فعل الأسباب لإصلاح البيوت باختيار الزوجين، (فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه.

والدنيا متاع، وخيرُ متاعها المرأة الصالحة[1]، والمرأة ركن أساس في البيت، وعنصر مهم في التربية وأكثر ملازمة للبيت، وربما كانت أقرب للأولاد، فمساهمتها في التربية مهمة، واختيارها أو تربيتها علىٰ الصلاح والإصلاح مطلب، ومن نعمة الله علىٰ الرجل أن يهيئ له زوجة صالحة، وقد ذكر الله مِنَّته علىٰ (زكريا) عليه السلام بإصلاح زوجه ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وفي المقابل ذكر عاقبة (خيانة) الزوجة كما في مثل امرأة نوح، وامرأة لوط ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠]، وكذلك الزوج فهو (قيِّم) البيت،

---

(١) مسلم (ح١٤٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وصاحب الخُلق والدين، هو المؤهل بإذن الله لإصلاح بيته، ومن هنا جاء التركيز علىٰ (الخاطب) صاحب الخُلُق والدين (إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[1].

إن البيت الذي تُؤسس أصوله علىٰ زوجين صالحين حري بالتوفيق لنفسه، وإخراج جيل ينفع الله به البلاد والعباد.

علىٰ أن طريق التوبة مفتوح، وكم من بيوت استقام بنيانها بعودة الزوجين وصلاحهما بعد شرود وضياع، فكانت نِعم البيوت ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ [الأعراف:٥٨].

٢. الدعاء عند دخول البيت وعند نزول المنزل:

ومع اختيار الزوجين فإنما يُستجلب التوفيق والصلاح للبيوت من الله، والدعاء من أسهل الطرق وأهمها في استصلاح البيوت، ولا بد من سؤال الله والتوجه إليه بصدق وإخلاص لاستصلاح البيوت وحمايتها من شياطين الإنس والجن، ومن هنا أرشد القرآن نبيه نوحًا عليه السلام ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح/ ١٩٦٧)، والترمذي (ح/ ١٠٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ١٣٤).

[المؤمنون:٢٩]، قال القرطبي: والآية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلَّموا قالوا[1].

وجاء توجيه النبي ﷺ عند نزول المنزل مشفوعًا بأثر الدعاء، حيث قال: (من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك)[2].

فيا تُرىٰ أينا السعيد الذي لا يغيب عنه هذا الذكر والدعاء عند نزول أي منزل، وأثره كما علمنا؟

٣. والدعاء كذلك عند الوقاع (الجماع):

وكما يهتم الإسلام بتحصين البيوت عند نزولها بالذكر والدعاء، فهو كذلك يهتم عند تأسيس لبناتها الأولىٰ (الأولاد)، ويرشد إلىٰ دعاء آخر عند الجماع، ويبين أثره علىٰ المولود، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن قضىٰ بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبدًا)[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح/ ٢٧٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٦٣٨٨) ومسلم (ح/ ١٤٣٤).

أليس هذا اهتمامًا مبكرًا؟ وهل يُزهد في هذا الدعاء وهو سبيل لحفظ المولود من الشيطان الرجيم؟ وكذلك أرشد النبي ﷺ الزوجين الصحابيين لذلك الدعاء حين فقدا ولدهما ليكون العوض كريمًا.

٤ . اختيار البيت الفسيح والجار الصالح:

يرشد الإسلام إلىٰ اختيار البيت الفسيح، حيث تنشرح الصدور، وتحل السعادة، ويشكر علام الغيوب، ولهذا قال النبي ﷺ: (أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهني...)[(١)]، ومثل ذلك الجار الصالح، فهو عون لجاره علىٰ عمل الصالحات والابتعاد عن المنكرات والمحرمات، والواقع يشهد علىٰ أثر الجار، فكم من جار صار سببًا لسعادة وصلاح جاره، إن رأىٰ خيرًا فرح وشجع، وإن رأىٰ ما دون ذلك ستر ونصح، ومن هنا قيل: (الجار قبل الدار).

ويُسهم كذلك في اختيار البيت قُربه من المسجد حيث يُقام ذكر الله، ويسمع أهل البيت الأذان وتلاوة القرآن والذكر...، وكل ذلك عونٌ بإذن الله لأهل البيت علىٰ طاعة الله، وإصلاح البيوت،

---

(١) أخرجه ابن حبان (ح/ ٤٠٣٢) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٨٨) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وأحمد في المسند (ح/ ١٤٤٥) والحاكم في المستدرك (ح/ ٢٦٤٠)، وصححه الألباني: صحيح الجامع (١/ ٣٠٥).

وإقامة الصلاة، ويشجع الأبناء على الالتحاق بحلق تحفيظ القرآن، والبنات على التسجيل في الدور النسائية لتحفيظ القرآن.

فلْنَختَر مواقع بيوتنا، ولنتحسس جيراننا، ولنحسن الجوار، ولْنَزِد في شكر ربِّنا، فبيوتنا نعمة وفضل من ربِّنا.

٥. حفظ كرامة البيوت وأدب الاستئذان:

البيوت لها أسرار ولها كرامات يجب أن تُحفظ ويُحافظ عليها، وقد جعل الله الاستئذان وسيلة لحفظ هذه الأسرار والكرامات، وشرع لأهل الإسلام الاستئذان، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه آداب شرعية أدَّب الله بها عباده المؤمنين في الاستئذان، أمرهم ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول، ويسلموا بعده[١].

والاستئذان على البيوت يحقق لها حرمتها، ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة، والضيق من المباغتة، والتأذي بانكشاف

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠)، ط: دار إحياء التراث.

العورات، ولعل ذلك كان موجودًا في الجاهلية، فجاء الإسلام ليلغي هذا الحرج ويُعلم المسلمين أدب الاستئذان.

علىٰ أن الاستئذان المشروع ثلاث، كما جاء في الحديث الصحيح: (إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع)[1].

ومما ينبغي أن يُعلم في الاستئذان ألَّا يقف المستأذن تلقاء الباب بوجهه، وإنما ينحرف عنه يمينًا أو شمالًا حتىٰ لا ينظر داخل البيت[2].

وقد كان النبي ﷺ إذا أتىٰ باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر[3].

كما أرشد ﷺ إلىٰ الاستئذان علىٰ المحارم كالأم، فقد روىٰ مالك عن عطاء أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله! أستأذن علىٰ أمي؟ قال: نعم، قال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله ﷺ: استأذن عليها، أتحب أن تراها عُريانة؟ قال: لا، قال فاستأذن عليها[4].

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٦٢٤٥) ومسلم (ح/ ٢١٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١٤٤) وابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦١).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح/ ١٠٧٨)، من حديث عبد الله بن بسر ﷺ، وقال الألباني في تعليقه علىٰ الأدب المفرد: حسن صحيح.

(٤) الموطأ (٢/ ٩٦٣) وقال أبو عمرو: مرسل صحيح، ولا أعلمه يستند من وجه صحيح ولا صالح، وصحح ابن حجر إسناده (الفتح ١١/ ٢٥)، وانظر: د. عبد الكريم الخضر: أحكام وآداب دخول البيوت ص٢٠، والباحث يُرجح وجوب الاستئذان علىٰ المحارم.

علىٰ أن الأمر في الاستئذان يُعظَّم في الإسلام إلىٰ درجة فقء العين، فقد اطلع رجل من جُحرٍ في حُجَرِ النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرًىٰ يحك به رأسه، فقال: لو أعلم أنك تنظر لطعنت به عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر[1].

فحيث أهدر الناظر كرامة البيوت، وسمح لبصره أن يتسلل إلىٰ عورات الآخرين فعينه هدر، وهكذا تُحفظ عورات المسلمين، ويُشرع لهم ما يحفظ كرامة بيوتهم.

٦. منع ما يمنع دخول الملائكة للبيوت:

ومع العناية بحفظ البيوت وتأسيسها علىٰ البر والتقوىٰ، فثمة تحوُّط وحماية لها، وتنبيه إلىٰ تجريدها وإخلائها مما يكون مرتعًا للشياطين ويحجب عنها الملائكة المقربين، وأي مسلم يزهد في دخول الملائكة بيته؟ وأي مؤمن يرضىٰ أن يكون بيته مرتعًا للشياطين؟ ودونكم هذا التوجيه النبوي فاعقلوه، واحذروه، فقد أخرج أحمد والترمذي وابن حبان -رحمهم الله- عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو صور)[2]، وفي حديث آخر قال ﷺ: (إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه

(١) صحيح البخاري (ح ٦٢٤١) ومسلم (ح ٢١٥٦).
(٢) صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٦٧).

كلب)[1]، وفي حديث ثالث: (إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة)[2].

وجماع ذلك النهي عن إدخال التماثيل والصور المحرمة، والكلاب، وقد بوَّب البخاري في صحيحه (باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة)، وفيه ساق الحديث وقول جبريل عليه السلام: (إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب)[3].

وبكل حال فالصور مما عمَّت به البلوىٰ وكثرت في البيوت، وعلىٰ المسلم أن يتحرز ويتحوط ما استطاع، لا سيما فيما يتأكد تحريمه منها، فالبعض يستثني من المحرم لُعب الأطفال ويستدلون بحديث عائشة رضي الله عنها: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ...)[4].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البخاري (ح٥٩٦٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد نقل ابن حجر عن القرطبي قوله: (إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار، لأنهم يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك). الفتح (١٠/ ٣٩١، ٣٩٢)، ويزيد ابن حجر في الإيضاح ويقول: وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب إلىٰ أن الصورة التي تمتنع الملائكة من دخول المكان التي تكون فيه باقية علىٰ هيئتها، مرتفعة غير ممتهنة، فأما لو كانت ممتهنة أو غيرت من هيئتها إما بقطعها من نصفها وإما بقطع رأسها فلا امتناع. الفتح (١٠/ ٣٩٢).

(٤) البخاري (ح ٥٩٦٠)، ومسلم (ح/ ٢٤٤٠).

وقد علَّق ابن حجر على هذا الحديث، وذكر اختلاف العلماء في ذلك وجمعهم بين أحاديث النهي عن الصور، وهذا الحديث، فليراجعه من شاء[١].

أما الكلاب المنهي عنها في البيوت فتلك فتنة يُفتن بها قليل من الناس يُربونها، ويزينونها، ويهتمون بنظافتها ومأكلها، وربما سموها بأحسن الأسماء، وربما اشتريت بمبالغ كبيرة، وهل يعلم هؤلاء أن جبريل عليه السلام امتنع عن المجيء للنبي ﷺ بالوحي بسبب جرو (كلب صغير) في البيت؟[٢]، وهل يعلم هؤلاء المقتنون للكلاب في بيوتهم أنه ينقص من أجورهم كل يوم قيراطان؟[٣].

وللعلم يُستثنى من الكلاب المحرمة كلب الصيد، وكلب الحراسة، وللعلم كذلك فالمراد بالملائكة هنا ملائكة البركة والرحمة، وليست ملائكة الحفظة الكاتبين، فهؤلاء الملائكة لا يمتنعون لأجل ذلك. ذكره الخطابي وغيره[٤].

---

(١) الفتح (١٠/ ٥٢٧).
(٢) البخاري (ح/ ٥٩٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) البخاري (ح/ ٥٤٨١) وموضع آخر، ومسلم (ح/ ١٥٧٤).
(٤) انظر: هذه البيوت لا تدخلها الملائكة (إبراهيم الجمل ص٥٢).

عوامل مؤثرة في التربية في البيوت

لا شك أن الهداية والتوفيق للصلاح من الله، وقد يوجد في بيوت الأخيار والصالحين من الفساد والانحراف ما يخرج عن الجهد البشري، ويتجاوز تربية المربين وتوجيه الناصحين، وهل يُشك في حرص الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- على استصلاح أممهم، فضلًا عن بيوتهم؟ ومع ذلك وقع انحراف في بيوت الأنبياء، وضرب الله أمثلة لذلك فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠]، ومع ذلك فالإنسان مسؤول عن البلاغ والنصح والدعوة والإرشاد، والهداية والتوفيق بيد الله ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، وحسب المرء أن يجتهد ما وسعه الجهد في التربية، وإصلاح البيوت ومما يعين على ذلك ما يأتي:

١ . استشعار المسؤولية وتحمل مسؤولية الرعاية:

فالله تعالى أمرنا في كتابه العزيز بوقاية أنفسنا وأهلنا من

النار، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦]، قال علي رضي الله عنه، وقتادة، ومجاهد: (قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم)، وعلّق القرطبي: وهذا هو الصحيح والفقه الذي يقتضيه العطف، وعلىٰ الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية[١].

وقال الكيا الهراسي: وهذا يدل علىٰ أن علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير وما لا يُستغنىٰ عنه من الأدب، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ [طه:١٣٢][٢]، ونحو قوله عن إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ [مريم:٥٥].

وقد وجه النبي ﷺ إلىٰ تحمل مسؤولية الرعاية فقال: (ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي علىٰ الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ علىٰ أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية علىٰ بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ علىٰ مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته)[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٩٤، ١٩٥).

(٢) الكيا الهراسي: أحكام القرآن (٤/ ٤٨٨).

(٣) رواه البخاري (ح/ ٥٢٠٠) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح١٨٢٩) واللفظ له.

وإذا استقر في الشرع والعقل مسؤولية الأبوين في الرعاية والتربية، وذلك بالحمل علىٰ طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر والمصابرة علىٰ طول الطريق ومصاعب التربية، ومراعاة النفسيات وتقلبات الأحوال وضعف البشر، وميلهم إلىٰ الدعة والكسل، ونزغات الشيطان، والمؤثرات الأخرىٰ...، فثمة مفهوم خاطئ ربما احتمىٰ به بعض الآباء والأمهات وهم يهملون أولادهم ويقولون: (الهداية بيد الله)، وهذا وإن كان صحيحًا في جملته، فلا يعني بحال الإهمال والاتكال، بل لا بد من فعل الأسباب المشروعة والاجتهاد في التربية، وأداء الأمانة والقيام بواجب الرعاية، ولن يُعدم المربي والمربية من آثار التربية صلاحًا إن عاجلًا أو آجلًا، فإن لم يكن هذا ولا ذاك، ففيه إعذار إلىٰ الله من جانب، وفيه تحصيل للأجر والمثوبة من الله من جانب آخر، فالكلمة الطيبة صدقة، فكيف بما فوقها، لكن ثمة أمر لا بد من التفطن له، ألا وهو أن يبدأ الوالدان بإصلاح أنفسهما، وأن يكونا قدوة للأولاد في سلوكياتهما قبل أقوالهما، وصلاح الآباء يدرك البنين ويحفظهم بإذن الله، وفي محكم التنزيل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢].

أيها الأب الكريم وأيتها الأم المربية، إن الله سائلكما عما استرعاكما عليه من الذرية، فأعدًّا للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا،

واستحضرا دائمًا قوله ﷺ: (إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيَّع، حتىٰ يسأل الرجل عن أهل بيته)(١).

٢. ذكر الله في البيوت:

بذكر الله تطمئن القلوب، وتُطرد الشياطين، وتحصل البركة والسكينة، وما أجمل البيوت التي يشيع فيها ذكر الله، ولكم أن تتصوروا الفرق بين البيوت التي يُذكر فيها الله، والتي لا يُذكر، ففي صحيح مسلم من حديث أبي موسىٰ ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مثل البيت الذي يُذكر الله فيه والبيت الذي لا يُذكر الله فيه مثل الحي والميت)(٢).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: وفي الحديث الندب إلىٰ ذكر الله تعالىٰ في البيت وأنه لا يُخلىٰ من الذكر(٣).

وكم هو جميل أن يسمع صغار أهل البيت وكبارهم ذكر الله يجلجل في البيوت، ففي ذلك تعظيم لله وحرماته، وحيثما شكت البيوت من الضيق والاكتئاب، ونزغات الشياطين، فالذكر دواء وشفاء بإذن الله، ولنسمع إلىٰ أثر الذكر في البيوت حين يدخل

---

(١) أخرجه ابن حبان (ح/ ٤٤٩٣) من حديث الحسن البصري عن النبي ﷺ، فهو مرسل، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥).
(٢) البخاري (ح/ ٦٤٠٧)، ومسلم (ح٧٧٩) وهذا لفظ مسلم.
(٣) شرح مسلم (٦/ ٦٨).

الرجل بيته، وتلك مسألة قد تغيب عن بعض الناس، فلا يبدأ دخول بيته بالذكر، والرسول ﷺ يقول: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان[1]: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)[2].

وعلَّق النووي: وفي هذا استحباب ذكر الله تعالىٰ عند دخول البيت وعند الطعام[3].

وكما الدخول للبيوت مستحب ذكر الله وفيه صيانة وحفظ، فكذلك الخروج من البيت يستحب ذكر الله، ففيه وقاية وكفاية وحفظ، والرسول ﷺ يقول: (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت علىٰ الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذٍ هديت، وكفيت، ووقيت، فتنحىٰ عنه الشيطان، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي)[4].

---

(١) يعني قال الشيطان لإخوانه وأعوانه ورفقته.

(٢) رواه مسلم (ح ٢٠١٨).

(٣) شرح مسلم (١٣/ ١٩٠، ١٩١).

(٤) أخرجه أبو داود (ح/ ٥٠٩٥)، والترمذي (ح/ ٣٤٢٦) والنسائي في الكبرىٰ (ح/ ٩٨٣٧) عن أنس بن مالك ﷺ وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩٥٩).

وبالجملة فعمارة البيوت بذكر الله شرف وسعادة وصدقة، أفلا يستطيع الأبوان أن يوزعا في بيتهما كل يوم صدقات، فبكل تهليلة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة...

ويحسن بالوالدين أن يُحفِّظا أولادهما أذكارًا عظيمة الأجور سهلة الأداء من مثل قوله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب -وفي رواية: من ولد إسماعيل- وكُتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك)[1].

فإن زاد الأبوان أو أحدهما وقرأ مع أولاده كتابًا في (الذكر) وفضائله، وتعلم أهل البيت أذكار الطعام والشراب واللباس وأوراد الصباح والمساء والنوم، ودخول الخلاء والخروج منه...، ونحو ذلك مما سيأتي الحديث عنه، (فنور علىٰ نور).

علىٰ أن من الذكر إقامة الصلاة -لا سيما النافلة- في البيت، وتلاوة كتاب الله الكريم، ولأهمية هذين الأمرين فسأفرد لهما حديثًا خاصًّا بهما.

---

(١) رواه البخاري (ح/ ٣٢٩٣)، ومسلم (ح/ ٢٦٩١) وغيرهما.

٣. الصلاة في البيوت والسُّنن الأخرىٰ:

الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي سيماء الأنبياء والصالحين ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم:٥٥]، وهي ناهية عن الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

وحيث تُعمر المساجد بالصلوات المكتوبة، فينبغي أن تعمر البيوت بصلاة النافلة، حتىٰ تحضر الملائكة وتُطرد الشياطين، ويتعلم أهل البيت فضل الصلاة وكيفية إقامتها، ومن هنا جاء الحث علىٰ إقامة صلاة النافلة في البيت وما فيها من الخير، فقال النبي ﷺ: (إذا قضىٰ أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)[١]، وهذا الهدي النبوي في صلاة النافلة في البيوت حتىٰ لا تعود البيوت كالمقابر، كما قال ﷺ: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا)[٢].

ومن هديه ﷺ القولي إلىٰ هديه العملي، تحدثنا عائشة رضي الله عنها عن صلاته ﷺ في بيته صلاة التطوع، وتقول: (كان يصلي قبل الظهر أربعًا في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلىٰ

---

(١) رواه مسلم (ح٧٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (ح/١١٨٧)، ومسلم (ح/٧٧٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب ثم يرجع إلىٰ بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بهم العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلًا طويلًا قائمًا، وليلًا طويلًا قاعدًا...)[1].

ومما يدعو للصلاة في البيوت عِظم أجر صلاة النافلة فيها، وفي الصحيحين قال ﷺ: (فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته، إلا الصلاة المكتوبة)[2].

ولشدة حرص الصحابة ﷺ علىٰ الصلاة، فقد كانوا يتخذون في بيوتهم مساجد للصلاة، وكانوا يصلون بها النوافل، وأحيانًا الفرائض (عند الحاجة) من مرض أو عذر يمنعهم من الصلاة في المسجد، وقد بوَّب البخاري في صحيحه (باب المساجد في البيوت، وصلىٰ البراء بن عازب في مسجده في داره جماعة)، ثم ساق البخاري قصة عتبان بن مالك الأنصاري البدري ﷺ، وأنه أتىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم فلم أستطِع أن آتي

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٧٣٠)، وللمزيد عن الصلاة في البيوت انظر: البيوت في الكتاب والسنة/ الزيد (ص٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٧٣١) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٧٨١) من حديث زيد بن ثابت ﷺ.

مسجدهم فأصلي بهم، وودت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلىٰ...، وفي نهاية الحديث: فأتاه النبي ﷺ ومعه أبو بكر ﷺ، فقال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فأشار له (عتبان ﷺ) إلىٰ ناحية من البيت، فصلىٰ رسول الله ﷺ به ركعتين...[1].

ومن هنا تتوجه الدعوة للآباء والمربين: صلوا في بيوتكم (غير الفريضة)، ففيها من الإخلاص والتربية وعمارة البيوت بذكر الله، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل، وجلب الملائكة، وطرد الشياطين...، ونحو ذلك من المنافع الشيء الكثير.

أما المرأة فلا شك أن صلاتها في بيتها (الفرائض والنوافل) خير لها وأحفظ وأستر، وكذلك أرشد النبي ﷺ النساء فقال: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها)[2]، وإن كانت لا تمنع من المسجد (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)[3]، ولكن دون زينة، ولا جلب فتنة لها أو لغيرها.

---

(١) البخاري (ح/ ٤٢٥)، ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٣٣) من حديث محمود بن الربيع ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (ح/ ٥٧٠) من حديث ابن مسعود ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧١٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٩٠٠) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٤٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أما صلاة الزوجين من الليل فحسبهما أن يُكتبا في الذاكرين والذاكرات[1]، ورحم الله رجلًا قام من الليل فصلىٰ وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، وكذلك المرأة[2].

ومن السنن كذلك -عند دخول المنزل- البدء بالسلام، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور:٦١]، وكذلك وجه النبي ﷺ أنسًا ﵁ فيما يروىٰ فقال: يا بُني إذا دخلت علىٰ أهلك فسلم فتكون بركة عليك وعلىٰ أهل بيتك[3].

وهنا تنبيه يُغفل عنه، فإذا كان من سنن الصلاة (السواك) وهو مطهرة للفم مرضاة للرب سبحانه، فقد يُغفل عن مواطن وحالات للسواك خارج الصلاة كالسواك حال القيام من الليل، وللصائم، وعند الوضوء، أما الذي يغيب أو يُغفل عنه كثيرًا فهو سنيَّة السواك

---

(١) أخرجه أبو داود (ح/ ١٣٠٩)، وابن ماجه (ح/ ١٣٣٥)، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (ح/ ١٤٥٠)، والنسائي (ح/ ١٦١٠) واللفظ لهما، وابن ماجه (ح/ ١٣٣٦) من حديث أبي هريرة ﵁، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي (ح/ ٢٦٩٨)، وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١/ ٩٢٦).

عند دخول البيت، وعنه روىٰ مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك)[1]، والحكمة من ذلك كما قال القرطبي: يحتمل أن يكون ذلك لأنه كان يبدأ بصلاة النافلة، فقلما كان يتنفل في المسجد، فيكون السواك لأجلها.

وقال غيره: الحكمة في ذلك أنه ربما تغير رائحة الفم عند محادثة الناس، فإذا دخل البيت كان من حسن معاشرة الأهل إزالة ذلك[2].

٤. القرآن (هدىٰ) و(نور) و(بصائر) و(شفاء) وكتاب الله (حبله المتين) و(صراطه المستقيم) و(رحمة للعالمين):

وكم هم مغبوطون أهل القرآن، وما أجمل البيوت التي يُتلىٰ فيها كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وعدَّ أحرف (وجه) من القرآن، وضعَّف الحسنة بعشر أمثالها، وستجد أن قراءة الوجه الواحد من القرآن فيه ما يزيد علىٰ خمسة آلاف حسنة!

فكيف بمن قرأ أكثر من ذلك؟ ألا إن فضل الله عظيم علىٰ قارئ القرآن.

---

(١) صحيح مسلم (ح ٢٥٣).

(٢) شرح السيوطي علىٰ سنن النسائي (١/ ١٣).

ومن أسس التربية في البيوت إشاعة تلاوة كتاب الله فيها، لدى الصغار والكبار، والرجال والنساء، وكم لحلق تحفيظ القرآن في المساجد والدور النسائية من فضل -بعد فضل الله- في دوي أهل البيوت بالقرآن كدوي النحل يحفظون ويراجعون، ويتدبرون، لكن لا بد من جهود الأبوين في تلاوة القرآن في بيتهما.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل قراءة القرآن وأثره في البيوت عامة، أو بسور وآيات مخصوصة، فقد روى مسلم في صحيحه أن أسيد بن حضير ﷺ، بينما هو ليلة يقرأ في مربده (موضع في بيته) إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضًا، قال أسيد ﷺ: فخشيت أن تطأ يحيى ﷺ (ابنه) فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلَّة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فغدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: تلك الملائكة كانت تسمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم[1].

أفلا نرغب أن تُظلل الملائكة بيوتنا ونحن نقرأ القرآن فيها؟ وفي رواية: (فإنها السكينة تنزلت عند القرآن، أو تنزلت للقرآن)[2].

---

(١) البخاري (ح٥٠١٨) ومسلم (ح٧٩٦) وهذا لفظ مسلم.
(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٣٦١٤) ومواضع أخرى، ومسلم (ح/ ٧٩٥).

ومن ذا الذي يرغب عن السكينة أن تنزل بيته؟

وهل تعلم أنه ليس في القرآن قليل، فـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] تعدل ثلث القرآن، قال ﷺ: أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: كيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن[1].

وحين تُعلِّم أولادك سورة الفاتحة، فهي أعظم سورة في القرآن، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم[2]، قال القرطبي: اختُصت الفاتحة بأنها مبدأ القرآن وحاوية لجميع علومه[3]، ومن قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه[4]، قيل: أجزأتاه عن قيام الليل بالقرآن، وقيل أجزأتاه عن قراءة القرآن مطلقًا داخل الصلاة أو خارجها، وقيل: كفتاه بإذن الله من كل سوء، وقيل غير ذلك[5].

---

(١) البخاري (ح٥٠١٥) ومسلم (ح٨١١) (ح/ ٨١٢). قال المازري: القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص، وأحكام، وصفات لله تعالى وقل هو الله أحد متخصصة للصفات، فهي جزء من ثلاثة أجزاء (هامش عبد الباقي على مسلم) (١/ ٥٥٦).

(٢) صحيح البخاري (ح٥٠٠٦)، ومواضع أخرى، عن أبي سعيد بن المعلى ﷺ.

(٣) الفتح (٩/ ٥٤).

(٤) صحيح البخاري (ح٥٠٠٩)، ومسلم (ح/ ٧٠٨).

(٥) انظر: ابن حجر: الفتح (٩/ ٥٦).

ومما ينبغي أن يُعلم ويحرص عليه قراءة سورة البقرة في البيوت، فذلك أمان من الشيطان -بإذن الله- وفي الصحيح (أن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة)[1].

وحري بك أيها المربي أن تُحفِّظ أهل بيتك آية الكرسي، فمن أوىٰ إلىٰ فراشه وقرأ آية الكرسي لم يزَل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتىٰ يُصبح[2].

وعوِّذ نفسك وأهل بيتك بالمعوذتين (الناس والفلق)، فما تعوَّذ متعوِّذ بمثلهما[3]، وكان رسول الله ﷺ يعوِّذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وبالجملة فقراءة القرآن في البيوت جالبة للسكينة، طاردة للشياطين.

ومن الإجراءات العملية المعينة علىٰ تلاوة القرآن في البيوت ما يأتي:

---

(١) صحيح مسلم (ح/ ٧٨٠) وفي مسلم أيضًا: (اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة (السحرة) (ح ٨٠٤). وقد اشتهر عن بعض الصالحين الإكثار من قراءة سورة البقرة وقالوا: وجدنا أثر ذلك.

(٢) البخاري (ح/ ٣٢٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح/ ٢١١٨٩) من حديث أبي بن كعب ﷺ، وأبو داود (ح/ ١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٣١٦).

أ- جعل حِلق في البيوت يُتلىٰ فيها القرآن ويُتدبر.

ب- وضع مسابقات قرآنية في حفظه أو تفسيره وتدبره.

ج- الاستعانة بالكبار من الأولاد لتشجيع وتحفيز الصغار علىٰ القرآن.

د- اختيار مكتبة صوتية قرآنية بعدد من القراء المجيدين تكون في متناول أهل البيت لتقويم قراءتهم والتلذذ بالقرآن من خلال حسن أصواتهم.

هـ- القراءة في أحد كتب التفسير الميسرة لمعرفة معاني القرآن.

٥. أوراد البيوت في الصباح والمساء:

الورد سياج حافظ بإذن الله للإنسان من شياطين الإنس والجن، وهو تحصين للبيت وأهله.

وعلىٰ المربي (رجلًا أو امرأة) أن يحرص علىٰ هذه الأوراد بنفسه، وأن يعلمها لأهل بيته ليداوموا علىٰ قراءتها في الصباح والمساء، وقد جاءت السنة بعدد من الأحاديث تقال في الصباح والمساء، ومن ذلك:

قراءة آية الكرسي، وآخر سورة البقرة.

وسورة الإخلاص، والمعوذتين (ثلاث مرات).

اللهم بك أصبحنا (أمسينا)...

أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق (ثلاث مرات).

سيد الاستغفار (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، إلخ).

سبحان الله وبحمده (مائة مرة).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له... (عشرًا أو مائة مرة).

لا حول ولا قوة إلا بالله.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (مائة مرة).

وغيرها من الأذكار والأوراد التي تطمئن بها القلوب، وتنشرح الصدور، ويحفظ الله بها من كيد الشياطين.

ومن المهم قراءة كتاب أو أكثر في الذكر، مثل: الأذكار للنووي، أو حصن المسلم للقحطاني، أو غيرها، للتعرف على الأذكار وفضلها، ويمكن تحميلها في الجوال لسهولة قراءتها في أي مكان.

٦. القدوة الحسنة في البيت:

ربما استمع الإنسان أحيانًا بعينيه بدل أذنيه، وطالما كان الفعل أمضى من القول، والقدوة الحسنة تختصر على المربين شيئًا كثيرًا، وإذا كان ترسيخ الاقتداء بالنبي ﷺ منهجًا شرعيًا وأمرًا

ربانيًا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، فحري بالأبوين أن يقربا هذه الصورة النبوية، وأن يكونا قدوة لأولادهما في بيتهما في العبادة والسلوكيات، فهما في صلاتهما وحسن أدائها قدوة، وفي صدقهما في الحديث، واستثمار أوقاتهما، وتعاملهما مع الآخرين بالحسنىٰ أسوة لأهل بيتهما، وفي كل شؤونهما وأحوالهما قدوة، وقد علَّم النبي ﷺ المرأة حسن الأسوة في التعامل مع طفلها منذ نعومة أظفاره، وأرشدها إلىٰ الصدق في تعاملها، فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تُعطِه شيئًا كُتبت عليك كذبة[١].

الأبوان مرآة صادقة لأبنائهما وبناتهما، وكثيرًا ما يحتذون بأخلاقهما.

ومما يشين المربي أن يقول ما لا يفعل، وأن تكون سلوكياته في وادٍ وتوجيهاته ونصائحه في وادٍ آخر، ومن الخطأ أن يظن المربي

(١) أخرجه أبو داود في الأدب برقم (٤٩٩١)، وأحمد في المسند (ح١٥٧٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٨٢).

(ومنهم الأبوان) أن بإمكانه أن يخفي شيئًا من سلوكياته الخاطئة عن أهل بيته

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

والقدر الذي يمكن التجاوز عنه أن يكون الأبوان أو أحدهما مُبتلىٰ ببلية وهو لها كاره، وحريص علىٰ التخلص منها بأسرع وقت، لكن قبل التخلص منها يحاول أن لا يصدِّرها إلىٰ غيره، فهو يكتمها ولا يظهرها، ليس نفاقًا، وإنما تحرجًا منها من جانب وحرصًا علىٰ ألا يطلع عليها أحد من أهل بيته ثانيًا، فيكون فتن غيره بها.

إن القدوة في عمل الواجبات، وترك المحرمات، والتخلق بالصفات الحميدة تقصر الطريق علىٰ الأبوين في التربية، وتختصر مساحات من الوعظ والتذكير والتحذير -وإن كان لا بد منها-.

ومما يُعرف ويُشتهر أن في النفوس حبًّا للمحاكاة والتقليد، وإذا قال الصادق المصدوق ﷺ: (الرجل علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل)[1]، فكيف بأثر الوالدين، ومقام الأولاد معهم كثير ومستديم؟

---

(١) أخرجه أبو داود (ح/ ٤٨٣٣)، والترمذي (ح/ ٢٣٧٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦٤).

٧. تفاهم الزوجين علىٰ أدوار التربية:

التربية مجموعة من التوجيهات والسلوكيات، ومن المهم أن يتكامل الزوجان في طرائق التربية، وأن يتفاهما ولا يتنافرا، وأن يتكاملا، فكل له مهمة وأسلوب، فإذا جنحت الأم إلىٰ (العاطفة) (والرِّقة) مع أولادها أحيانًا، فعلىٰ الأب أن يمثل دور (الحزم) و(الجد) حتىٰ لا تُفقد العاطفة في البيت، ولا تضيع الجدية ويُفقد الحزم وتشيع الفوضىٰ.

ومن المهم هنا أن يتفاهم الزوجان في أساليب تربية أولادهما، وأن يشملا بأساليبهما الترغيب والترهيب، والأمر والنهي، والحزم واللين، والتشجيع والتحفيز، ونحو ذلك من طرائق التربية المؤثرة، علىٰ ألَّا يظهر ذلك بمظهر التضاد والاختلاف، وإنما بمظهر تكامل الأدوار، ومن المهم كذلك ألا تظهر خلافات الزوجين أحيانًا وتعلو أصواتهما وتبرز اختلافاتهما، فتلك تؤثر سلبًا في الأولاد وتنعكس علىٰ آثار التربية.

صحيح أن الناس بشر، والخلاف قد يقع بين الزوجين، وفي بيت النبي ﷺ وقع شيء من ذلك، ولا يزال الخلاف يقع في بيوت الناس، لكن ليحرص الزوجان قدر الإمكان علىٰ إخفاء ذلك وحل مشكلاتهما قبل أن يطلع عليها أولادهما، فإن ظهرت واطلع عليها

أهل البيت فثمة خط رجعة، وذلك بالمصالحة والتراضي بمشهد الأولاد وحضورهم، فذلك يُعفي الأثر ويصلح ما فسد.

ومن الأمور المهمة أن يُشاع في البيوت (خُلق الرفق) وأن يتواصىٰ عليه الزوجان، فـ(ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه)(١)، و(إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق)(٢)، وأن يتفقا علىٰ (خُلق الحياء)، فـ(ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه)(٣).

إن مما يشيع الفوضىٰ ويسبب ضياع البيوت وتشتت الأسرة تنافر الزوجين وكثرة اختلافهما وتنازعهما، فذلك يخلق جوًّا مشحونًا يورث قلقًا وهمًّا للأولاد، ويدعوهم للتسرب من البيت والبحث عن جوٍّ آخر يجدون فيه راحتهم وطمأنينتهم، ويفرحون بالخروج من البيت ويعلوهم الهم والحزن عند دخول البيت، تلك بيوت طاردة وليست مربية، والزوجان بتنازعهما وكثرة خلافاتهما سبب في ذلك، وأنىٰ لهذين الزوجين أن يستجمعا طرائق التربية وهما في تلك الحال، ومن هنا فإن وعي الرجل والمرأة بأدوارهما

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٢٥٩٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (ح/ ٢٤٤٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١١٧).

(٣) أخرجه الترمذي (ح/ ١٩٧٤)، وابن ماجه (ح/ ٤١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٧).

في التربية واتفاقهما وتفاهمهما وجعل تربية الأولاد همًّا مشتركًا بينهما، كل ذلك يساعد علىٰ التربية، ويساهم في إخراج جيل صالح بإذن الله.

٨. الدعاء لأهل البيت:

الدعاء بشكل عام عبادة لله، وهو مطلب في استصلاح الذرية وأهل البيت، فإذا فعل الإنسان الأسباب الممكنة للتربية، ثم رفع يديه إلىٰ السماء يسأل ربه الهداية والتوفيق، فلا شك أنه فوَّض الأمر لمن يملك الهداية والتوفيق، وكلما كان الدعاء صادقًا وخالصًا ودون اعتداء في الدعاء كانت الإجابة أقرب، فربنا الكريم يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾، ثم قال بعدها: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، والمعنىٰ: فليطيعوا لي، وليصدِّقوا[(١)].

وقد ذكر القرطبي عند تفسير هذه الآية عدة موانع للدعاء تمنع قبوله، وذكر شروط قبوله، وأوقات الإجابة[(٢)].

ولا بد أن يستشعر الأبوان حال الدعاء -مع الإخلاص والصدق، وعدم الاعتداء- أن دعوتهم ضمن الدعوات التي لا تُرد،

(١) تفسير الطبري (٢/ ١٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٠٩-٣١٣).

فقد قال ﷺ: (ثلاث دعوات يستجاب لهن، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده)[1]، وفي المقابل فدعوة الوالد علىٰ ولده مستجابة: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن -وذكر منها-: دعوة الوالد علىٰ ولده)[2].

فليحرص الوالدان علىٰ الدعاء لأولادهما، وليحذرا الدعاء عليهم، لا سيما في حال الغضب، فربما وافقت ساعة استجابة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: (لا تدعوا علىٰ أنفسكم ولا تدعوا علىٰ أولادكم، ولا تدعوا علىٰ خدمكم، ولا تدعوا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجاب لكم)[3].

لا بد من إلحاح الوالدين بالدعاء لأولادهما، وألا تقف دعواتهما عند صلاح دنياهم، فهذه وإن كانت مشروعة ومطلوبة، فالدعاء لهم بالصلاح والاستقامة أهم، وقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون لذريتهم، ومن دعائهم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم:٤٠]، ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران:٣٨]، ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح/ ٣٨٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (ح/ ١٩٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (ح/ ٣٠٠٩) من حديث جابر ﷺ.

[الأحقاف:١٥]، كما كان الدعاء للذرية سمة للصالحين، وهذا الفضيل بن عياض -رحمه الله- دعا لابنه (علي) وقال: اللهم إني اجتهدت أن أودب عليًّا فلم أقدر علىٰ تأديبه فأدبه أنت لي)، فاستجاب الله له وكان (عليٌّ) من كبار الأولياء، قانتًا لله، كبير الشأن، كما قال الذهبي[1].

وفي زماننا المعاصر اشتكىٰ عدد من المربين جنوح أبنائهم، فما أسعفهم إلا الدعاء، فأصلح الله لهم ذريتهم، ومن هنا توصية للوالدين كليهما ألا يفترا، ولا ييأسا من صلاح ذريتهما بالدعاء، مع فعل الأسباب المقدور عليها في التربية، وأن يتحريا أوقات الإجابة، وحضور القلب، واختيار جوامع الدعاء، ومراعاة أدب الدعاء، (من الثناء علىٰ الله أولًا، والصلاة علىٰ النبي ﷺ أولًا وآخرًا).

٩. التركيز في التربية علىٰ كبار الأولاد وإشراكهم في التربية:

مهما كان دور الأب والأم مع الأولاد مميزًا، فهم محتاجون إلىٰ مساعدة أولادهما لهما في تربية إخوانهم، ولذا فإن الاهتمام بتربية أول الأولاد (ذكورًا وإناثًا)، ومزيد العناية بهم واستثمارهم فيما بعد بالمشاركة في توجيه وتربية إخوانهم، أمرٌ مجرب وناجح، وهو كما يخفف من مسؤولية الأبوين، يفيد في التربية، لماذا؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٠-٣٩٢).

لأن الكبير من الأولاد قدوة -في الغالب- لمن بعده، ولأن لغة الأخ مع أخيه والأخت مع أختها قد تكون أقرب وأكثر تأثيرًا، ولا شك أن فارق العمر، أو تقارب العمر مؤثر في التربية.

وتشجيع الابن الأكبر (أو البنت) علىٰ قيامه بدوره في استصلاح من تحته في البيت هو مزيد استصلاح لهذا الكبير، وتوسيع لدائرة المسؤولية، وتدريب مبكر له علىٰ الدعوة والإصلاح، وأيضًا ففيه هدف مستقبلي وهو تهيئة لمستقبلهم الأسري، ودورهم مع بيوتهم المستقبلية، فالأسرة نواة للمجتمع، وكلما تكاثرت الأسر، وعمَّ فيها الخير والصلاح كان ذلك دليل خير، وعلامة صلاح للمجتمع، وهل المجتمع الكبير إلا مجموعة من الأسر الصغيرة؟

ومن هنا لا بد أن يُعنىٰ الآباء والأمهات بمزيد تربية أبنائهم وبناتهم الكبار، وأن يبذلوا لهم من أوقاتهم وجهدهم ما يجدونه فيهم عند الحاجة لمساعدتهم في التربية، فمنحهم الثقة مهم، وتدريبهم علىٰ الخير واستصحابهم لزيارات وجلسات الخير وتزويدهم بالعلم النافع، وتثقيفهم، وإشعارهم بوجودهم...، كل ذلك يساهم في تربيتهم وتأهيلهم للمشاركة في تربية من تحتهم.

١٠. أشخاص مهمون في التربية:

إن شكا الوالدان أو أحدهما من ضعف التربية وقلة التأثير في أهل بيتهما لسبب أو لآخر، فحري بهما أن يستعينا بعد الله

بغيرهما ممن له أثر وباع ومسؤولية في التربية -خارج البيت-، ومن هؤلاء:

أ- إمام مسجد الحي، فهذا عليه كفل من مسؤولية جماعة مسجده، وحين يطلب قيِّم الأسرة من إمام المسجد أن يعينه في إصلاح بيته ويعرض له بعض ما يعانيه من مشكلات فذلك رشد ومشورة صالحة، وحري بالإمام أن يكون علىٰ قدر المسؤولية وأن يُساهم في إصلاح بيوت حيِّه بالقدر الممكن، وذلك بالوسائل المشروعة التي يراها مناسبة؛ كالزيارة، والتوجيه، والترغيب في المسجد، واقتراح المسابقات، والحث علىٰ تعلم القرآن، وغيرها.

ب- وخطيب الجمعة القريب للبيت هو الآخر حري أن يُستشار وأن يُساهم في التربية وإصلاح البيوت، بخطبه المميزة، وبرامجه النافعة للحي، وتشجيعه للشباب والفتيات علىٰ الخير، وتحذيرهم من الشرور والفتن.

ج- ومعلم المدرسة أو مرشدها ركن رئيس في التربية، وأبناؤنا وبناتنا يمكثون في مدارسهم وقتًا ليس باليسير، وربما كان استماع الطالب والطالبة من معلميهم أكثر من سماعهم من والديهم، فهل يُقدر المعلم والمعلمة دورهما التربوي (خارج المدرسة)؟

وبالتجربة والواقع كم صلحت أسر، واستقام شباب، واهتدت فتيات على إثر توجيه إمام، أو سماع خطبة نافعة، أو لتأثير معلم أو معلمة...! وهل التربية إلا مجموعة من الحلقات يتصل بعضها ببعض، ويكمل بعضها بعضًا، وفي المجتمع المسلم يُدعىٰ الجميع للتعاون على البر والتقوىٰ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، والأثر والنتيجة للإصلاح عظيم، فـ(لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم)[١].

د- والصديق الصالح مؤثر في صديقه، فاختاروا أصدقاء أبنائكم وبناتكم بعناية، فالصاحب ساحب، وعن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه، وأبلغ من ذلك: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، (ومثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)[٢]، وتحري الأب والأم لأصدقاء أبنائهما وبناتهما يساعد كثيرًا في تربيتهم، وبالمقابل، فثمة أبناء وبنات ضاعوا بسبب رفيق السوء، ولكم أن تتصوروا أثر رفقاء السوء مع العقلاء الفطناء، فكيف مع السفهاء الأغرار؟ في قصة موت أبي طالب ونهايته البائسة، وقد حضره النبي ﷺ وقال له:

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٢٩٤٢) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٢٤٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٢١٠١)، وموضع آخر، ومسلم (ح/ ٢٦٢٨).

يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وأبىٰ أن يقول لا إله إلا الله[1].

فإذا كان هذا أثر جليس السوء ورفقة السوء علىٰ رجل بعقلية أبي طالب، فلا تسأل عن أثرهم فيمن هو دون ذلك.

---

(١) البخاري (ح/ ٤٧٧٢) ومسلم (ح/ ٢٤).

آليات ووسائل للتربية في البيوت

نحتاج في سبيل تحقيق أهداف التربية، وبلوغ تأثير العوامل المساعدة للتربية، إلىٰ عدة آليات ووسائل ترغِّب الأبناء والبنات وتستجلب انتباههم، وتجعلهم يقبلون التوجيه بصدور رحبة، وأنفس راضية، إذ إن جمال المحتوىٰ في التوجيه والتربية يحتاج كذلك إلىٰ جمال القالب الحامل له، والوسيلة المنفذة له.

وعلىٰ المربي ألَّا يحقر شيئًا من المعروف، وأن يراعي تنوع وتقلب النفسيات والأمزجة قدر المستطاع، ومن هذه الآليات والوسائل ما يأتي:

١. الكلمة الطيبة:

فالكلمة الطيبة صدقة(١)، وتبسمك في وجه أخيك صدقة(٢)، والقول الحسن مطلوب شرعًا ومقبولًا عقلًا، ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء:٥٣] ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[البقرة:٨٣]،

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٢٩٨٩)، وموضع آخر، ومسلم (ح/ ١٠٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (ح/ ١٩٥٦)، وأصله في مسلم (ح/ ٧٠٢)، وموضع آخر من غير ذكر للشاهد.

ومن الخلل في التربية الغلظة والفضاضة، والبخل بالكلمات التي تفتح القلوب، وتتشنَّف لها الآذان.

ومن الخطأ أن يتصور الوالدان -في بيتهما- أن أولادهما غير محتاجين لطيب الكلام، مما يُختار لغيرهم خارج البيت، ومن هدي النبوة قبسٌ يضيء للمربين جميعًا (ومنهم الوالدان)، فلم يكن النبي ﷺ سبابًا ولا فاحشًا، ولا لعانًا[1].

وحين يكثر السباب والشتم والفحش في البيوت فليس ذلك من هدي النبوة، ولا تسأل عن تأزم النفسيات والفرقة، والشتات، وعلىٰ الوالدين أن يختارا أجمل العبارات لمخاطبة أولادهما، فتلك تقربهم وتحسسهم بالثقة، وتغرس المحبة في قلوبهم.

وحيث إن الأولاد -لا سيما الصغار- مظنة للخطأ وكثرة الحركة وربما الإفساد العفوي أحيانًا، فعلىٰ الوالدين تحمل ذلك والعفو والصفح وتصدير الكلام الطيب، ولنا أن نتأمل في هدي النبي ﷺ وقد بال الغلام (الحسن أو الحسين) رضي الله عنهما في حجره، فضربته أم الفضل رضي الله عنها (مرضعته) علىٰ كتفه، فقال النبي ﷺ: (أوجعت ابني رحمك الله)[2].

---

(١) رواه البخاري (ح ٦٠٣١، ٦٠٤٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وانظر: موسوعة صحيح أحاديث الشمائل النبوية، د. همام وابنه محمد ص١٦١.

(٢) رواه ابن ماجه، وصححه صاحب موسوعة صحيح أحاديث الشمائل ص١٦٢.

إن من الكلمات الطيبة ما يشجع ويحفز، فمخاطبتك لابنك بالقول: يا أيها الكريم، أيها البطل، النبيل، الشهم، اللبيب، ونحوها من عبارات جميلة، ترسم لوحات مستقبلية لهم، وقولك لابنتك: أيتها الجميلة، أيتها المباركة، العفيفة، القانتة، الصالحة، فيك ذوق وجمال ونحو ذلك، كذلك ترسم لوحات سعادة عاجلة وتفتح آفاقًا مستقبلية حسنة.

ومن القول الحسن والكلمة الطيبة تكنية الأبناء والبنات بكنىٰ كريمة وجميلة، بأسماء الأنبياء عليهم السلام، أو الصحابة أو التابعين، أو بأسماء العلماء والنبلاء، فتلك تمنحهم ثقة وهي فأل حسن لهم، وحسن اختيار اسم الولد (ذكرًا أو أنثىٰ) من حقوق الأولاد علىٰ آبائهم.

وهل تعلمون أن كلمة طيبة ربما صنعت مستقبلًا عظيمًا، فالإمام الذهبي (العالم الكبير) يقول عن نفسه: إن مما حبب إليَّ علم الحديث أن شيخي (البرزالي) قال لي يومًا: (خطُّك يُشبه خط المحدِّثين)، فأثر كلامه في نفسي، فحبب إليَّ علم الحديث.

فكان الذهبي من جهابذة علم الحديث[1].

---

(١) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢٧٨).

ولكم أن تتصوروا عظيم أثر الكلمة والنبي ﷺ سيد الكلمة الطيبة، وهو يطلق كلمات ودعوات كان لها أثرها، فقد قال لعبد الله بن مسعود ﷺ: (إنك لغلام مُعلم)، يقول ابن مسعود ﷺ: فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر(١).

وحبر الأمة وترجمان القرآن (ابن عباس) رضي الله عنهما، نفعه الله بكلمات ودعوات طيبات قالها له الرسول ﷺ: (اللهم علمه الكتاب)(٢)، وفي رواية لمسلم: (اللهم فقهه)(٣).

٢. جلسة الأسرة:

مهما كان انشغال الوالدين فلا يُعذران من تخصيص وقت للجلوس مع أهل البيت، يتحدثون بما يفيد، ويخلطون الجدَّ أحيانًا بالدعابة والمزاح، ويساهمون في خدمة البيوت، وإن جعلوا حلقة للقرآن أو للسنة، أو السيرة النبوية، ثابت وقتها، ومتفق على برنامجها فذلك شيء حسن ومفيد ونافع.

وعلى الأبوين أن يسمعا من أولادهما همومهم ومشكلاتهم وطموحاتهم المستقبلية، وأن يشاركوهم الحلول والتحفيز.

---

(١) أخرجه أحمد (ح/ ٤٤١٢)، وابن حبان (ح/ ٦٥٠٤)، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان (١٠/ ١٥٩).

(٢) صحيح البخاري (ح/ ٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح/ ٢٤٧٧) وللمزيد انظر: أدب المعاملة في السيرة النبوية د. سليمان العودة ص١٦-٢٤.

ومن المهم ألَّا يتصور الوالدان أن ذلك من فضول الأوقات، ومزجيات الفراغ، بل ذلك من الواجبات، وهو استثمار أفضل في البنين والبنات، وحين يقتنع الأبوان أن الاستثمار في الذرية والأهل من أعظم الاستثمارات، وهي مشاريع تستحق العناية، فإن ذلك يدعوهم إلىٰ اختيار أحسن الأوقات للجلوس معهم، واختيار مادة الحديث وموضوعات الجلسات.

إن من أسباب الشرود والضياع أن يتصور الأبوان أن مهمتهما الرئيسة تأمين الغذاء والكساء، وإعداد الوجبات وتنوع الأطعمة...، فتلك مع أهميتها والحاجة إليها، ليست نهاية المسؤولية، فغذاء الأرواح وإصلاح القلوب، وتقويم المعوج من السلوك، وغرس مفهوم العبودية الشامل لله، أهم وأعظم.

إن خطوات الإصلاح والتغيير والدعوة للخير ينبغي أن تكون بدايتها من البيوت، ومن المؤسف أن يكون لبعض الناس -أحيانًا- جهود في الدعوة والإصلاح خارج بيوتهم، أما بيوتهم فتشكو الجهل والضياع والانحراف؟

ومن الخلل في التفكير أن يطمح الداعية إلىٰ تغيير الدنيا لكن بيته خارج دائرة التفكير، أو به نوع من الضعف مقدور علىٰ تقويته!

وعلىٰ المسلم أن يُرتب الأولويات، ويبدأ بالأقربين (فهم أولىٰ بالمعروف)، ولو أن كل مسلم اهتم ببيته وأصلح من شأن أهله وذريته لصلحت الأمة، وتحمل كل فرد في المجتمع والأمة مسؤوليته، فبيوتنا هي الحصون الأولىٰ، وهي التي كان ولا يزال أعداؤنا يراهنون علىٰ إفسادها وانحراف ساكنيها.

فلنهتم ببيوتنا، ولنجعل جلسة أو جلسات لأسرنا.

ومما هو مجرب وناجح استمرار هذه الجلسة للأبناء والبنات حتىٰ بعد زواجهم، كأن يجعل جلسة في الأسبوع يجتمعون فيها علىٰ طعام أو قهوة ويتحدثون، فتلك رباط جيد، ومشروع صالح.

ومحمد ﷺ -وهو قدوتنا- ومسؤولياته أعظم منا، فهو (رحمة للعالمين) وأرسل للناس كافة، ومع ذلك تجده ﷺ نموذجًا في العناية ببيته وتربية أهله، والجلوس معهم، بل وخدمتهم، وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تكشف عن حال الرسول ﷺ في بيته، وتقول: كان يكون في مهنة أهله -تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلىٰ الصلاة[1].

وفي رواية كانت تقول: (كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم)[2].

---

(١) رواه البخاري (ح ٦٧٦، ٦٠٣٩)، ومواضع أخرىٰ.

(٢) أخرجه أحمد (ح/ ٢٤٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٨٦).

إنها أخلاق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-: التواضع، والبعد عن التنعم وامتهان النفس ليُستن بهم، ولئلا يخلدوا إلىٰ الرفاهية المذمومة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ [المزمل:١١][١].

علىٰ أن من الفهوم الدقيقة التي استنبطها العلماء من حديث: (ثلاثة لهم أجران... ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها...)[٢] الحديث، قال ابن حجر: جاء الحديث عن (الأَمَة) بالنص، وفي (الأهل) بالقياس، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالأَمَة[٣].

فأبشر بأجرين يا من تجلس في بيتك تُعلم أهلك الخير.

٣. استضافة الأخيار للبيت:

ومع جهد الإنسان في بيته -وله في تعليم أهله الخير أجران كما سبق-، فجميل استضافة أهل الخير والعلم والدعوة والتجربة للبيوت، حتىٰ يُستفاد من علمهم وتجاربهم.

---

(١) ابن حجر: الفتح (١٠/ ٤٦١).
(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٩٧)، ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ١٥٤).
(٣) فتح الباري (١/ ١٩٠).

ومع ما في (التزاور) بين المسلمين من خير وأجر، فقد صح الحديث: (حقت محبتي للمتزاورين فيَّ)[1]، وفي حديث آخر قال ﷺ: من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا[2].

فلربما كانت زيارة (خيِّرٍ) للبيت سببًا للسعادة والإصلاح، وقد يسمع الأبناء والبنات من (زائر) صالح، أكثر مما يسمعون من والديهم.

وقد جاء الندب إلىٰ زيارة الأخيار الأتقياء للبيوت، في قوله ﷺ: (لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي)[3].

كما جاء التحذير من زيارة الأشرار للبيوت في حديث: مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد... إلىٰ قوله ﷺ: وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة[4].

---

(١) أخرجه أحمد (ح/ ٢٢٠٠٢)، وابن حبان (ح/ ٥٧٧)، وجوَّد اسناده ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (/ ٢٠٠٨)، وابن ماجه (ح/ ١٤٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٩١).

(٣) أخرجه ابو داود (ح/ ٤٨٣٢) والترمذي (ح/ ٢٣٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح/ ٢١٠١) بدون (يحرق بيتك)، وبهذا اللفظ صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٥٨٢٩).

وحيث يحذر الناس كلهم من حرائق البيوت المعروفة، فقليل منهم من يتفطن لحرائق القيم وفساد الأخلاق، من أناس لا خلاق لهم.

فاحرص يا صاحب البيت على زيارة الأخيار لبيتك والجلوس مع أهلك وولدك حسب شرائع وآداب الإسلام.

وكم هي دعوة مؤثرة تلك التي دعا بها نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح:٢٨].

ومن المفيد -في حال زيارة الأخيار للبيوت- أن يتم تنسيق وتذكير مُسبق، كأن يتحدث الزائر عن خُلق كريم يريد صاحب البيت أن يرسخه في أهل بيته، أو عكسه خلق ذميم يريد أن يحذر أهل بيته منه، أو أمر بمعروف عمومًا، أو نهي عن منكر، وقد يرى صاحب البيت أن يكون حديث الضيف الصالح عفويًا وغير مُتكلَّف حتى لا يشعر أهل البيت بالإملاء والإلزام.

وبكل حال فكلٌّ أدرى بأهل بيته وما يحتاجون إليه والحكمة مطلوبة، والرفق كذلك.

وقد كان من سنة النبي ﷺ زيارة بيوت أصحابه رضوان الله عليهم، وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار رضي الله عنهم

فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج أمر بمكان من البيت فنُضح له علىٰ بساط فصلىٰ عليه، ودعا لهم[1].

قال ابن حجر: وفي الحديث استحباب الزيارة، ودعاء الزائر لمن زاره وطعم عنده[2].

وعمل بهذه السُّنة (زيارة البيوت) أصحابه من بعده، وكانت لهم فيما بينهم زيارات وتوجيهات حرية بالتأمل والاعتبار، وفي البخاري: أن سلمان الفارسي رضي الله عنه زار أخاه أبا الدرداء رضي الله عنه، فرأىٰ أم الدرداء رضي الله عنها متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء رضي الله عنه ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء رضي الله عنه، فصنع له طعامًا، فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتىٰ تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء رضي الله عنه يقوم، قال: نم، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان رضي الله عنه: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان رضي الله عنه: إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتىٰ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له ﷺ: صدق سلمان[3].

وكم في هذا الحديث من فوائد ودرر، وقد لا يتسع لها المقام هنا بالبسط، لكن مما فيه: أهمية ومشروعية الزيارة بين الإخوان

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٦٠٨٠) واللفظ له، ومسلم (ح/ ٦٦٠).
(٢) الفتح (١٠/ ٥٠٠).
(٣) البخاري (ح١٩٦٨).

-في الله- وإخوان النسب من باب أولىٰ، وفيه بذل النصيحة وتنبيه من غفل، وجواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يُفضي إلىٰ السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة، وجواز مخاطبة المرأة الأجنبية للحاجة(١).

وكم نحن بحاجة للتزاور والتناصح، والتذكير بحقوق الأهل والذرية.

٤ . الزيارات الهادفة:

وكما يُزار أهل البيت، فمما يساهم في سَلْوتهم وانبساطهم وانشراح صدورهم زيارة من يُحبون الأنس معهم والاستفادة مما لديهم، لا سيما إذا اختير زمن الزيارة، ومَن يُزار، وقد يرجعون من زيارتهم بفوائد لم تكن في بيتهم، وقد يخرجون من الزيارة بمزيد حمدٍ وشكرٍ لله، فقد يرون من يزورون أقل منهم أثاثًا أو أضيق سكنًا، فيشكرون الله علىٰ ما أنعم به عليهم.

وشأن المسلم الموفق حال الزيارة للآخرين التزام أدب الزيارة المشروعة، فهو إن رأىٰ خيرًا ذكر الله وفرح لأخيه المسلم، وإن رأىٰ دون ذلك شكر الله، ودعا لأخيه، ولم يشمت به أو ينتقص أو يكشف سرًّا، وهنا تؤدي الزيارات غرضها المنشود.

---

(١) للمزيد انظر: ابن حجر: الفتح (٤/ ٢٠٩، ٢١٠).

وكما يختار المرء لبيته من يزوره، فعليه هو أن يختار من يزورهم، فهي إما أن تكون لمن هو فوقك فتستفيد منه، وإما لمن هو دونك فتساعده وتشكر الله علىٰ إنعامه عليك، وإما لمن هو مثلك فتأنس به ويأنس بك وتتواصون بالحق والصبر، والمهم أن تكون زياراتنا هادفة، تتحرىٰ الأجر والفضل بعيدًا عن الغيبة والنميمة، وكما تُحفظ الألسن في الزيارة تحفظ الأعين عن النظر لعورات الناس، وما لا يُحبون النظر إليه، وتُحفظ الآذان عن سماع المحرم كالغناء ووسائل اللهو المحرمة، أو الاستطالة في أعراض الناس وجعلها فاكهة المجالس، فتلك زيارات سلبية، ولقاءات لا تأتي بخير.

إن شريعتنا الغراء تريد بيوتًا آمنة مطمئنة تُزار فتكسب الخير والأجر، وتزور لتستفيد وتُفيد وتكسب الأجر.

ولا تريد (البيوت الطاردة) تلك التي يُحسُّ بعض أفرادها بالضيق والضجر، إما لكثرة المنكرات، وإما لسوء تعامل الوالدين وإما سوء العلاقة مع الإخوة وإما غير ذلك من أسباب تجعل من البيوت مكان طرد وليس موضع استقرار، هذه البيوت لا بد أن تعالج وضعها وتنظر في أسباب هروب أبنائها أو بناتها وتُعالج مشكلاتها، وتُقدم البدائل الصالحة.

علىٰ أن هناك زيارات مهمة ومبرمجة، تلك التي يتفق عليها الزائر والمزور، كأن تكون لحفظ شيء من القرآن، أو قراءة كتب

نافعة، أو فيها مسابقات وجوائز، وأجواء الزيارات والمنافسة بين المتماثلين تخلق جوًّا من التحفيز، وتعطي الزيارات نوعًا من الأهمية، فلنحرص علىٰ مثل هذه الزيارات وتختار برامجها بعناية.

٥. الرحلات الممتعة النافعة:

في الأسفار مُتنفس وفوائد، وعنها قال الشافعي رحمه الله:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلى

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تَفَرُّجُ هـمٍّ، واكتساب معيشة

وعلم وآداب وصحبة ماجد

وأهل البيت محتاجون للسفر للاستجمام وتجديد النشاط والمكافأة علىٰ جهد بذلوه، والسير في ملك الله الواسع.

لكن هذه الرحلات تؤدي غرضها أكثر حين يهتم الأبوان أو كبار الإخوة بها، فأهدافها: لزيارة قريب تصل رحمه، أو صديق صدوق تعزز العلاقة به، أو للسير في مناكب الأرض للاعتبار والتفكر ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

ومن المهم أن يلفت المسؤولون عن الرحلة نظر أولادهم إلىٰ خلق السماء، وما بها من نجوم وأفلاك سيارة، وإلىٰ الأرض وما فيها من جبال ووهاد وأودية وسهول وأنهار، وبحار... كلها تشهد علىٰ عظمة الله وقدرته، وهذه اللفتات قد تكون مناسبة في الرحلة أكثر منها في حال الاستقرار وداخل المدن.

أما حين يكون هدف الرحلة لزيارة الأماكن المقدسة، كالحرمين الشريفين فذلك نور وطاعة، وتذكير أصحاب الرحلة بفضل الزيارة، وأجر الصلاة في الحرمين، وآداب المساجد، ومن فضل الله علينا في المملكة أن بلادنا تشمل السهل والجبل وفيها المناطق الباردة والحارة، والطرق الموصولة لها عامرة وواسعة، وفوق ذلك لدينا مصايف ومتنزهات يفخر الزائر لها حين تكون محافظة ومكتملة الخدمات، هذا فضلًا عن وجود الحرمين، وما حولهما من آثار تذكِّر بتاريخنا العظيم، وجهاد نبينا ﷺ وصحابته ﵃.

علىٰ أن هناك نوعًا من الرحلات مجربًا وناجحًا، وهو تخصيص رحلة للشباب -لفئتهم العُمرية- ولحاجتهم أكثر من غيرهم للرحلة والنزهة، فمن المهم أن يصطحب الأب أبناءه أحيانًا لرحلة برية مشتملة علىٰ أنواع من البرامج الترفيهية والرياضية وشيء من الفوائد والتوجيهات، ففي مثل هذه الرحلات يجد الشباب أنفسهم، ويقتربون أكثر من أبيهم، وتُكتشف مواهبهم، ويُدربون علىٰ أنواع

من الخدمات -هم بحاجة إليها في حياتهم- كمهارة الخدمة العامة، وإعداد الطعام أو القهوة، وأدب الرفقة والخُلطة، إلىٰ غير ذلك من معانٍ وأهداف تحققها مثل هذه الرحلات، وسواء كانت للبر أو لغيره من الأماكن التي تستحق الزيارة، ففيها أُنس وراحة، ويكفي أنها خلوة للأب بأبنائه، وفرصة لتقارب الأبناء وتعاونهم، وهي مجربة وناجحة -حتىٰ مع الأولاد ذوي الأمهات المتعددة- فلنحرص علىٰ هذه الرحلات ونستثمرها، ويسعد أبناؤنا بها، كما يمكن أن يشترك شباب آخرون قريبون لهم أو أبناء أصدقائنا الذين نطمئن إليهم، فيحصل من تلاقح الأفكار والتعاون علىٰ الخير شيء عظيم.

أما برامج الرحلة فجميل أن تُختار فقرات لطيفة وخفيفة في الطريق -علىٰ متن السيارة- وعظيم أن تبدأ بالقرآن لتحل البركة ويُصحح الخطأ، وتقوَّم القراءة.

ويمكن أن تشمل برامج الطريق مسابقات خفيفة، وجوائز مشجعة، وسماع مقاطع صوتية نافعة، أو أحاديث سمر أو قصائد وأناشيد مباحة تجلب السرور، وتُضفي علىٰ الرحلة جوًّا من الأُنس والفائدة، فإن حمل أصحاب الرحلة معهم مطويات صغيرة ونافعة وأعطوها لمن يستفيد منها فذلك تجسيد للدعوة في الرحلة، ومن المفيد إعلاء ذكر الله في الرحلة والتذكير ببعض الأذكار عظيمة

الأجر، سهلة الأداء، حتىٰ لا يسأموا طول الطريق من جانب، وحتىٰ يظل ذكر الله شعارًا لأهل الرحلة.

ومن الأهمية بمكان التذكير بأدب السفر، ومنه دعاء السفر في بداية الطريق، وتنظيم المسؤوليات والخدمات في الرحلة حتىٰ لا يتحمل الأعباء في السفر أشخاص ويُهمل آخرون.

وكذلك من المهم استحضار تدريب الأبناء والبنات علىٰ الخدمة في السفر، فقد تكون دورات لهم حين تَعز هذه الدورات أو تقل في البيوت.

إن رحلة أهل البيت فرصة لتعزيز الثقة، وخلق المبادرات والمنافسات النافعة، وهي تجديد لنمط الحياة، واستنشاق للهواء الطلق في البراري والقرىٰ والهجر والمدن...

وينبغي أن تُصحب الرحلة بالشكر والذكر، وأن تُعرف سنن السفر، وآدابه، وأن يستشعر المسافرون رقابة الله ومعيته في أي مكان كانوا.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل

خلوت ولكن قل علـيَّ رقيب

وأبلغ من ذلك: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]،

ومن الأهمية بمكان استشعار قيمة الدعاء في السفر، فدعوة المسافر إحدىٰ الدعوات المستجابة، فلنذكر أنفسنا ومن يصحبنا بذلك.

٦. مكتبة البيت:

تعلم العلم الشرعي فضل ورفعة ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] والملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم[١]، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ومع عدم إهمال العلوم الأخرىٰ النافعة، لا بد من تكوين مكتبة مختصرة ومنتقاة تكون في متناول أهل البيت يقرؤون منها ويبحثون في علومها، ويتفقهون في دين الله من خلالها، ومن المناسب أن يكون فيها ما يناسب الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ، فتلك تُنشئ فيهم حب القراءة وطلب العلم، وتقضي علىٰ فراغهم بالمفيد.

وأحد المحفزات لاستثمارها أن يكون فيها سجل لقيد الواردين والمطلعين عليها، ورصد جوائز لأكثر القُراء فيها لتشجيعهم علىٰ القراءة.

كما أن من المحفزات اختيار مكان المكتبة، وجاذبية أثاثها، ووضوح الإضاءة لتسهل القراءة والاطلاع فيها، والتنوع في علومها

---

(١) أخرجه الترمذي (ح/ ٢٦٨٢)، والنسائي (ح/ ١٥٨)، وابن ماجه (ح/ ٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٠٧٩).

(تفسير، وحديث، وسيرة، وتاريخ، وأدب، وقصص، وعقيدة، وفقه، وسير وتراجم) ونحو ذلك من علوم تصوغ الأفكار وتزكي النفوس، وتجيب عن التساؤلات.

ومن الممكن أن تكون جلسة العائلة فيها أحيانًا، ومن الجميل أن يعرض الأبوان أو أحدهما قضية للنقاش ويحيلا الأولاد للمكتبة لتعويدهم البحثَ والمراجعة، وفوق ذلك لا بد من اختيار كتاب المكتبة بلغته المفهومة، وطباعته الجميلة.

وألَّا تخلو المكتبة من قصص مُسلية ونافعة، ومن كتب ومسابقات تحرك الذهن وتساعد في القراءة، وأن يكون فيها فرع مكتبة صوتية كتسجيلات للقرآن بأصوات جميلة، ومحاضرات أو ندوات وحوارات هادفة، فمن الناس من يسمع أكثر مما يقرأ.

إن مما يلحظ علىٰ بعض البيوت كثرة الصور المحرمة، أو قطع الأثاث الزائدة علىٰ الحاجة، في حين تغيب المكتبة والكتاب -ولو يسيرًا- فلْنُعِد النظر في محتويات بيوتنا ولا نسرف في شيء، ونُقتِّر في شيء آخر.

٧. رسائل «الجوال» و«قروب» العائلة:

أصبح «الجوال» -في زماننا- جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثىٰ -وهو كما يمثل خطرًا

ومهدًا للتربية (وسيأتي الحديث عن ذلك)- يمكن استثمار هذا الجهاز كآلية من آليات ووسائل التربية في البيوت، وذلك من خلال ما يأتي:

أ- إنشاء «قروب» لأهل البيت يتواصلون من خلاله وتُختار مواده المؤثرة في التربية، ويمثل رباطًا للأسرة؛ به يتشاورون، ويهنئون، ويتواصلون خارج البيت في حال سفرهم أو إقامتهم.

ب- ثمة رسائل خاصة أو عامة يمكن للأب أو للأم أن يبعثوا بها لأبنائهما أو بناتهما تحمل توجيهًا خاصًّا لفرد، أو عامًّا للمجموعة، وهي رسائل تربوية وذات عبارات لطيفة تُشعر أهل البيت بحنان الأبوة وتوجيهاتهما، وتتخذ من رسائل «الجوال» وسيلة وفسحة للتعبير أكثر من المواجهة، وكذلك فهذه الرسائل مجربة وذات أثر تربوي، فلْنَستثمر هذه «الجوالات» بها.

ج- ويمكن تحميل برامج هادفة على «الجوال»، وفي مقدمة ذلك كتاب الله وشيء من تفسير آياته، وكذلك البرامج الأخرى النافعة تتواصى الأسرة بتحميلها والاستفادة منها، حتى تكون بديلًا صالحًا عن البرامج المنحرفة.

د- ويمكن استخدام «الجوال» منبهًا لأوقات الصلاة، لا سيما التي يكون الإنسان قبلها نائمًا.

هـ- ومن الأهمية بمكان ألَّا يطول وقت استخدام «الجوال» وأن تكون هناك توعية مستمرة بأهمية الوقت وعدم إضاعته في أشياء لا تنفع في «الجوال»، أما الضارة فينبغي التحذير منها والحذر من تعاطيها، وألَّا يكون استخدام «الجوال» علىٰ حساب البرامج والواجبات الأخرىٰ، أما إن ألهىٰ عن الصلاة المكتوبة فذلك مؤشر خطير، علىٰ الوالدين سرعة معالجة ذلك.

و- كما يمكن استخدامه في حال سفر الأبوين أو أحدهما أو سفر الأولاد لمتابعتهم وتفقد أحوالهم، ومن ذلك إيقاظهم لصلاة الفجر، والسؤال عن حالهم عمومًا ليشعروا أن الأبوين معهم في حال حلهم وترحالهم.

٨. تنمية المهارات للجنسين:

حتىٰ يستوعب أبناؤنا وبناتنا قضايا التربية لا بد من استنهاض هممهم وتنمية مهاراتهم، فكما البناء العقدي مهم للناشئة لحمايتهم من الانحرافات الشركية واللوثات البدعية، وتصحيح المعتقد شرط لقبول الأعمال، فكذلك ينبغي بناء المهارات الفكرية، وتوسيع مُدركات الثقافة الأصيلة، حتىٰ لا يقع الفرد نهبًا للأفكار الهدامة، ومهددًا بالأفكار المصدرة والوافدة.

وثمة مهارات وقيم علىٰ الأبوين أن يعتنيا ببنائها لدىٰ أولادهما، فمهارة العلاقة مع الآخرين وأدب الحوار وأساليب

التأثر والتأثير، كل ذلك يخلُق فيهم قدرة علىٰ الاختلاط بالآخرين والاستفادة من إيجابياتهم والتخلص من التقليد الأبله، والانسياق وراء أي طرح والإعجاب بكل تقليعة ولو كانت علىٰ حساب القيم والأخلاق.

والبناء العاطفي مهم كذلك حتىٰ لا تعود العلاقة بين المربين ومن يربونهم علاقة رسمية تجفُّ فيها ينابيع العاطفة، وتجعل من البنين أو البنات -وهُنَّ أكثر حاجة للعاطفة- ينساقون لعواطف لا يكون مرغوبًا بها، لكنها استهوتهم لعدم توافرها في بيئة البيت.

والواقع يشهد أنه أحيانًا ربما وقعت (الفتاة) فريسة كلمات حبٍّ وغرام خادعة، ووجدت فراغًا عاطفيًّا فتمكنت من قلبها، وربما قادتها لما تكره، فلا تبخلوا أيها المربون والمربيات بكلمات حانية، وعاطفة جياشة، ومشاعر رقيقة توزعونها علىٰ أبنائكم وبناتكم حتىٰ لا يتخطفهم غيركم، ولكي يأنسوا بكم ويسمعوا لتوجيهاتكم.

والمتأمل في هدي النبي ﷺ وتربيته لأهل بيته، وخاصة الصغار منهم يرىٰ تبسطه، ومزاحه، وملاطفته لهم أمرًا ظاهرًا، حتىٰ أحبوه في حَضَره، وفرحوا باستقباله من سفره، وفي صحيح مسلم: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته[1].

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٢٤٢٨).

وقد لفت نظر الأقرع بن حابس تقبيل رسول الله ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما، وقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم[1].

ويبقىٰ بعد ذلك مهارات خاصة بكل جنس هو محتاج أكثر إليها وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر، فإذا احتاجت الفتاة إلىٰ مهارات تدبير المنزل وحُسن رعايته فلنساعدها علىٰ النجاح في منزلها المستقبلي، ويحتاج الشاب إلىٰ مهارات التجارة وطرق الكسب الحلال، وتدبير المال، لتسعفهم في وقت حاجتهم إليها ولنساعدهم علىٰ النجاح كذلك.

وبكل حال فعلىٰ الأبوين مراعاة بناء المهارات التي يحتاج إليها الجيل حاضرًا ومستقبلًا، فتلك أدوات تساعد في التربية، وتساهم في النجاحات المستقبلية.

٩. معالجة الأخطاء في البيوت:

الخطأ وارد، وكل ابن آدم خطَّاء[2]، وبيوتنا ليست ملائكية لا يعصون الله ما أمرهم، ولذا فمن الوسائل المعينة علىٰ التربية طريقة وأسلوب معالجة الأخطاء إذا وقعت، إذ إننا أحيانًا نريد أن نعالج

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥٩٩٧)، ومسلم (ح/ ٢٣١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (ح/ ٢٤٩٩)، وابن ماجه (ح/ ٤٢٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٣١).

خطأً فنقع فيما هو أعظم نتيجة معالجة خاطئة، وعلىٰ الأبوين أن يترفقا ويتبصرا بالخطأ الواقع وأسلوب معالجته قبل أن يبدآ خطوة العلاج.

ومن أساليب معالجة الأخطاء:

أ- التعميم (ما بال أقوام يفعلون كذا)، حتىٰ لا نُحرج المخطئ ونواجهه، ونعطيه فرصة للتراجع عن خطئه.

ب- ومع الإصرار والتكرار للخطأ يُخاطب المخطئ وحدَه علىٰ هيئة نصيحة تظهر فيها عبارات المودة والتقدير والتوجيه، وتشعره بأثر الخطأ وآثاره السيئة؛ وأسلوب التوجيه والوعظ المباشر استخدمه النبي ﷺ مع أحد أصحابه فنفعه؛ يقول عمر بن أبي سلمة ﵁: (كنت غلامًا في حِجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طعمتي بعد)[1].

ج- وثمة أسلوب نبوي لمعالجة الخطأ، والردع بطريقة غير مباشرة، وهي تحسيس المخطئ بخطئه دون الحديث معه، ألا وهي (الإعراض) عن المخطئ حتىٰ يعود إلىٰ رشده، فقد كان

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥٣٧٦)، ومسلم (ح/ ٢٠٢٢).

رسول الله ﷺ إذا اطَّلع علىٰ أحدٍ من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضًا عنه حتىٰ يُحدث توبة[1].

د- وقد يحتاج المربي أحيانًا إلىٰ العقوبة أو مقدماتها، فمن الناس من لا ينفع معه التعميم، ولا يستجيب للإعراض والهجر ويحتاج إلىٰ ما فوق ذلك كالتخويف بالعقاب، ورؤية مقدماته، وفي السنة النبوية: (علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه لهم أدب)[2].

ولئن كان النبي ﷺ لم تمتد يده بالضرب لأحد، بل لم يسئ لأهل بيته وخدمه بما هو أقل من ذلك (كالتأفف والنهي عن الفعل)، كما حدَّث أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أُفٍّ قط، وما قال لشيءٍ صنعته لِمَ صنعته[3].

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٩) و(٤/ ٤٣٠) وأنكره، وعزاه السيوطي لأحمد والحاكم كما في صحيح الجامع (٢/ ٨٥٥)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٢/ ٥)، وعزاه في (الجامع) لأحمد والحاكم عن عائشة، ولم أرَه عندهما الآن، وذكر المناوي أنه عند الحاكم من طريق ابن قعنب هذا، وقد صححه في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (ح/ ١٧٩٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ح/ ١٢٢٩)، والطبراني في الكبير (ح/ ١٠٦٧١) وهذا لفظه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٦٩١١)، ومسلم (ح/ ٢٣٠٩).

فلعل المقصود بتعليق السوط هنا المتابعة في الأدب والحرص علىٰ حُسن الخُلُق[1].

هـ- ومن الوسائل الآمنة والمجربة بنجاح: العقوبة بتكليف المخطئ بشيء يعود عليه بالنفع، كأن يُكلف بحفظ شيء من كتاب الله (يستطيعه)، أو قراءة كتاب نافع يستوعب أسلوبه، أو تكليفه بعمل في البيت لا يشق عليه ولا يؤدي إلىٰ شماتة أو احتقار أهل البيت له، ففي مثل هذه التكاليف أو ما شابهها استثمار أمثل، وتصحيح للخطأ.

و- ومع كل ما سبق من أساليب معالجة الأخطاء (أو غيرها) فلا بد أن يكون خُلق (العفو، والصفح) حاضرًا في ذهن المربين، فهو أقرب للتقوىٰ ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٧]، ومأمور به شرعًا مع الأولاد والأزواج، حتىٰ وإن بدا منهم نوع من العداوة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

ز- والتغافل، والتغابي -أحيانًا- ربما كان سببًا لمعالجة الخطأ، حيث يشعر المخطئ أنه لم يُفطن له، وربما كان نادمًا علىٰ فعله، وعدم إشعار الناس له بخطئه يساعده في الإقلاع عن الخطأ والندم والتوبة:

---

(١) انظر: فيض القدير للمناوي (٤/ ٣٢٥) والمنجد: أربعون نصيحة لإصلاح البيوت (ص٨٥).

(ليس الغبي بسيدٍ في قومه
لـكـن سـيـد قـومـه المـتـغـابي)

وفرق بين الإهمال في التربية فذلك مذموم، وبين التغافل والتغاضي عن بعض التصرفات فذلك أسلوب نافع وآلية من آليات التربية.

١٠. العدل مع الأولاد:

من طبيعة النفس البشرية أن تُحب شخصًا أكثر من آخر، أو تكون نفسه وعاطفته أقرب لزيد من الناس دون عبيد، وهذا أمرٌ طبيعي -وقد تكون له أسبابه ومبرراته- وهذا -أعني التفاوت في الحبِّ أو القرب والبُعد- قد يقع شيء منه مع الأولاد، لكن الشيء المحذور أن يترتب علىٰ ذلك مواقف ومبرات خاصة، وجور في الأعطيات والهبات، تكون علىٰ حساب العدل المأمور به شرعًا، والمربوط مع التقوىٰ (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[1].

وعلىٰ المربين عمومًا، والوالدين خصوصًا، أن يُعاملوا أولادهم بالسوية، وأن يُشعروهم بالعدل في تعاملهم وتقديرهم لهم، وألَّا يظهر عليهم شيء من التقدير والاحترام لبعض الولد دون بعض، فإن ذلك مؤثر في التربية، وقد يؤدي لنوع من الانحراف نتيجة الشعور بالغبن والإهمال.

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٢٥٨٧)، ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ١٦٢٣).

وهذا الخلق (العدل) علمه النبي ﷺ أصحابه، ومن ورائهم الأمة المسلمة، فعن النعمان بن بشير أن أباه (رضي الله عنهما) انطلق به إلىٰ رسول الله ﷺ يحمله، فقال: يا رسول الله إني أشهدك أني قد نحلت النعمان كذا وكذا، فقال ﷺ: أكُلَّ ولدك نحلت؟ قال: لا، قال: فأشهد غيري، ثم قال: أليس يسرك أن يكونوا في البر سواء؟ قال: بلىٰ، قال: فلا إذًا[1].

إننا نجتهد أحيانًا في أساليب التربية، ونشكو قلة المردود الإيجابي، وقد يكون لذلك أسباب ومعوقات (ليس هذا مكان بسطها)، لكن قد يكون من أسباب ذلك خلل في العدل، أو نوع من التفضيل لبعض الأولاد علىٰ بعض، لم نشعر به نحن في ممارستنا اليومية، ولكن أعين وأفئدة الأولاد أحسَّت به، ولربما صدها عن القبول ونحن لم نشعر بذلك، فلنتنبه للعدل ولنشعر جميع الأولاد بحبنا وتقديرنا، وإن تفوق بعضهم علىٰ بعض في (العقليات) أو (الخدمات والبر)، فلا يظهر منا نظرة دونية لبعضهم، بل نحاول أن نلحق المتخلف بالمتقدم، وذلك تحدٍّ كبير، وأسلوب وآلية في التربية، ربما غابت عن بعض المربين.

---

(١) انظر: الحديث السابق.

مهددات التربية في البيوت
وواجب الوالدين تجاهها

حين نأخذ بأسباب التربية وأساليبها وعواملها وآلياتها فعلينا أن نجتهد في الحفاظ علىٰ هذه المكاسب، وأن نحميها من المؤثرات السلبية، ونتنبه لمهددات التربية، وعوامل الفساد التي تغزو بيوتنا من داخلها -ونحن مسؤولون عنها-، أو من خارجها ونحن قادرون علىٰ دفعها والتصدي لها بكل ما أوتينا من قوة، ومن هذه المهددات:

١. **إذا كان استشعار الوالدين لمسؤوليتهما في التربية عاملًا** رئيسًا في التربية، فإن عدم الإحساس بالمسؤولية أو الضعف في رعاية البنين والبنات يُشكل عنصرًا مهمًّا من عناصر الانحراف ويهدد بفساد البيوت؛ صحيح أن الهداية والتوفيق من الله، لكن لا بد من فعل الأسباب المأمور بها شرعًا من الرعاية والتربية.

وعلىٰ الذين يُقصرون في التربية والإحسان إلىٰ البنات أو الأخوات أن يتأملوا كم يفوتهم من الفضل والأجر الذي ينتهي بالمحسن إلىٰ الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: (من كان له ثلاث بنات

أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن، واتقىٰ الله فيهن، فله الجنة)[1].

وإذا كان هذا ترغيبًا ومثوبة لمن أحسن واتقىٰ في أهل بيته، فهناك ترهيب ووعيد لمن أهمل وترك الحبل علىٰ الغارب، فسيسأل يوم القيامة عن هذه الأمانة التي قصَّر في حملها، والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧].

وهل يُعلم أن تقصير أحد الأبوين في التربية سبب لنزع الولاية منه علىٰ ولده؟

وهنا حكاية معبرة نقلها ابن القيم عن شيخه -رحمهما الله- وقال: سمعت شيخنا -رحمه الله- يقول: تنازع أبوان صبيًّا عند بعض الحكام فخيَّره بينهما فاختار أباه، فقالت أمه: اسأله لأي شيء اختار أباه؟ فقال: أمي تبعثني كل يوم للكتاب، والفقيه يضربني، وأبي يتركني ألعب مع الصبيان، فقضىٰ به للأم، وقال: أنتِ أحقُّ به.

ونقل ابن القيم عن شيخه قوله: وإذا ترك أحد الأبوين تعليم الصبي وأمره الذي أوجبه الله عليه فهو عاصٍ، ولا ولاية له عليه[2].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي كما في جامع الأصول (١/ ٤١٣)، وذكره البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٥٨).

(٢) انظر: زاد المعاد (٥/ ٤٢٤)، وانظر: إبراهيم الجمل: هذه البيوت لا تدخلها الملائكة ص٣٣.

إن من الآباء ومن الأمهات من لا يأمر بمعروف ولا ينهىٰ عن منكر، وهذا الصنف وإن كان قليلًا، أو هكذا ينبغي أن يكون في بيوت المسلمين ومجتمعاتهم، فإن مردَّ هذا الإهمال خطير، إذ يتخرج من البيوت شباب وفتيات يجهلون أحكام الإسلام الأساسية، ويُقصِّرون في تعظيم الله وعبوديته، ويُخلف جيلًا يضيعون الصلاة ويتبعون الشهوات، وليسوا أهلًا لتحمل المسؤوليات أو القيام بالواجبات.

وهذه البيوت المحرومة من التربية الإيمانية والقيمية غالبًا ما تعيش البؤس والحرمان والشقاء.

والمصيبة أنك لو فتَّشت في حال هؤلاء المهملين لتربية بيوتهم لوجدتهم من أقدر الناس علىٰ توفير المعيشة والاهتمام بصحة ومستقبل أبنائهم، أفتكون العناية بالمطعم والمشرب والمستقبل الوظيفي والمعاشي أهم من العناية بالقلوب والعقول، والمستقبل الحقيقي والحياة الأبدية للأولاد؟

فعلىٰ من ابتلي بشيء من الإهمال أن يراجع نفسه ويعود إلىٰ رشده.

٢. توافر آلات الإفساد وعدم التحكم بها:

متى يبلغ البيان يومًا تمامه

إذا كنت تبني وغيرك يهدم

وفي عالم اليوم يُنازع الأبوين في التربية عناصر ووسائل أخرىٰ دخلت البيوت، وأصبحت جزءًا من مكوناتها، وحين لا يُتحكم فيها ولا يُنتبه لمخاطرها تهدد البيوت والأسر.

فالبث الفضائي، والنشر الإلكتروني بغثّه الكثير أصبح مهدًا كبيرًا لما يعرض من أفلام خطيرة، سواء بمشاهدها المثيرة للغرائز الجنسية، وتمردها علىٰ القيم والأخلاق والحياء، أو بإثارتها الشكوك والشُبه والإلحاد والزندقة، وكلتا فتنتي (الشهوات أو الشبهات) تُمثل خطرًا يهدد بيوتنا ويُسوِّغ الانحراف لشبابنا وفتياتنا، ولذا لا بد من الحزم في التخلص من هذه القنوات السيئة، والتحكم فيما يشاهده أهل البيت ويسمعونه، بعيدًا عن (مثالية) دعهم يشاهدون يطّلعون ثم ينتهون؟!

لا يجوز لولي الأمر أن يوفر هذه القنوات في البيوت ويترك المراهقين والمراهقات فريسة لبرامجها (الموجهة للفساد بعناية واحتراف)، قد لا تُدركه الناشئة إلا بعد حين، وقد سرت هذه المواد الإعلامية الهابطة في عروقهم، وأصبحت تمثل جزءًا من حياتهم، وتشكل سلوكياتهم وتُؤثر في مستقبلهم، وقد صدرت دراسات علمية وأخرىٰ ميدانية رصدت آثارها وكانت نتائجها مخيفة، وتوصياتها تحتاج إلىٰ نظر جاد واعتبار!

وربما كانت آلة الفساد بسيطة لكنها كذلك مؤثرة، فسماع (الغناء) و(الخنىٰ) من أي جهاز، وارتفاع الصوت المنكر، وتوفير آلات اللهو، والمزامير في البيوت يجعل منها مرتعًا للشياطين.

وأين الفرق بين بيوت يُسمع فيها دوي القرآن كثيرًا، وبيوت تختلط فيها أصوات المغنيين والمغنيات، وتظهر صور الراقصين والراقصات، وتُصدر الشواذ وأصحاب العُري علىٰ أنهم قدوات للشباب (من الجنسين)، أفلا يمثل ذلك تهديدًا للبيوت المسلمة؟

ولست هنا بصدد مناقشة حكم (الغناء) وآلات المعازف، لكني أشير فقط إلىٰ حديث في البخاري: (ليكونن من أمتي أقوام، يستحلون الحِرَ، والحرير، والخمر، والمعازف)(١).

وأرشد إلىٰ فقه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد خُتن بنات أخيها، فقيل لها: ألا ندعو لهن من يلهيهن؟ قالت: بلىٰ، فأُرسل إلىٰ فلان (المُغنِّي) فأتاهن، فمرت عائشة في البيت فرأته يتغنىٰ ويحرك رأسه طربًا؛ -وكان ذا شعر كثير- فقالت: أُفٍّ، شيطان، أخرجوه، أخرجوه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥٥٩٠) تعليقًا مجزومًا به، ووصله غير واحد.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح/ ١٢٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (ح/ ٢١٠١٠)، وحسن إسناده الألباني في تعليقه علىٰ الأدب المفرد، وقال في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٤٩): إسناده محتمل للتحسين.

علىٰ أن مما ينبغي التنبه له -عمومًا- ألا فرق بين قنوات عربية أو غربية إذا تشابهت في المحتوىٰ الفاسد، وبحمد الله يوجد اليوم بدائل وبرامج صالحة وقنوات مفيدة علىٰ الأبوين أن يستفيدا منها إن كان ولا بد منها.

٣. وسائل التواصل الحديثة وبرامجها الغازية:

قد يتحكم المسؤول عن البيت في إدخال أطباق قنوات لا تأتي بخير، وقد يحجب بعض القنوات ذات التأثير السيئ في أهله وولده، ولكن الشيء الأصعب هو حجب وسائل التواصل المعاصر، وفي مقدمتها الهواتف الذكية (الجوالات) فهذه غزت البيوت، وباتت سلوة الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ، وأصبحت تشكل قضاء أوقات الفراغ، وحقيبة المسافر، بل ربما اعتدت علىٰ أوقات الواجبات فتأخر المشاهد لها عن الصلاة المكتوبة، وأهمل في واجباته اليومية وهو مُدمن النظر والمشاهدة والسماع فيها.

والمشكلة أن هذا الجهاز (الجوال) يحمل كل شيء من الطيب، والخبيث، وفيه قنوات، ومواقع مشبوهة، ويمتلئ بالأخبار والإشاعات الكاذبة، وفيه برامج غازية ومؤثرة، إلىٰ غير ذلك مما يحمله هذا الجهاز.

صحيح أن فيه برامج هادفة، ومقاطع نافعة، وهو وسيلة خير إذا أُحسن استخدامه، لكن ذلك مرهون بالتحكم فيه واختيار النافع واجتناب الضار، وتلك وربي مسؤولية صعبة، فهل يستطيع الأب أو الأم مراقبة أجهزة أبنائهما وبناتهما، وهم يحملونها كل حين، وتدخل إلىٰ أسرَّة نومهم، ويستصحبونها معهم في حلهم وترحالهم؟!

وحين تشكل هذه الأجهزة -أيًّا كان نوعها وبرامجها- مهددًا للأسرة -فهي تُربي وتؤثر، وتصلح وتفسد- فإن أقصر الطرق للوقاية منها، كثرة وعمق التوعية واستدامتها علىٰ أهل البيت، وإشعارهم بخطورة بعض برامجها، وإرشادهم إلىٰ اختيار المفيد منها، وبناء مفهوم المراقبة الصحيح لله، والعناية بغرس مكارم الأخلاق كالغيرة، والحياء.

كما أن من طرق العلاج وتقليل المخاطر تحديد الوقت المتاح للنظر فيها، وإلزام الجميع إقفالَها في أوقات محددة، وإن أمكن استخدام التقنية في حجب ما يسوء منها نهائيًّا فذلك خير وأنفع -لكنه أصعب- إن استطاع الولي التقليل من وجودها، أو علىٰ الأقل عدم السماح بها إلا في سنٍّ معينة يستطيع الحامل لها التمييز بين الخبيث والطيب.

لكن الرهان الأكبر للوقاية، المراقبة، وغرس الخوف من الله، والتوعية بمخاطر تلك الأجهزة، وتقديم البدائل النافعة، والدعاء ثم الدعاء للأهل والذرية.

يا أيها الأولياء إياكم أن تُهدد بيوتكم من حيث تشعرون أو لا تشعرون، واحذروا أن يُربي أولادكم غيركم ممن لا خلاق لهم ولا دين، وكونوا أنتم قدوة حسنة لأهل بيتكم في كيفية وطرق استخدامها واختيار النافع من برامجها، والحذر والتحذير من شرورها وفتنتها، حمىٰ الله بيوتنا من كل سوء.

ومن أجمل وأخصر العبارات التي رأيتها في وصف «الجوال»: (هو من أخف ما يكون حِملًا ووزنًا في الدنيا، وقد يكون من أثقل ما يكون وزرًا وحِملًا في الآخرة).

٤ . المخدرات والمسكرات ومقدماتها:

المخدرات وما أدراك ما المخدرات! والمسكرات بأنواعها بلاء وفتنة، وأمراض خطيرة مُعدية، طالما شتَّتت بيوتًا آمنة، ومزَّقت أسرًا كانت مجتمعة، هي من بلايا العصر ومن غزو العقول، ولها شركات ومروجون، ولصوص وقناصون فاحذروهم واحموا بيوتكم منهم.

بل اجتهدوا في حماية ناشئتكم من مقدمات المخدرات والمسكرات ألا وهي تعاطي شرب (الدخان)، فتلك ربما كانت الخطوة الأولىٰ لاقتحام عالم المخدرات والمسكرات.

إن رفقاء السوء أعظم مؤثر وناقل لجرثومة الداء، فحافظوا علىٰ أهل بيتكم (ذكورًا وإناثًا) من رفقاء السوء الذين وقعوا في الفتنة ويريدون فتنة غيرهم، وكم يتصيد هؤلاء المفسدون الفتيان والفتيات ويختارون أوقاتًا معينة مثل أيام الامتحانات، وخروج الطلبة من المدرسة فيتلقفهم هؤلاء وربما أغروهم، فاحذروهم واحذروا منهم، وأشيعوا ثقافة خطر المخدرات والمسكرات والدخان والشيشة في بيوتكم، وكيف صنعت بأصحابها وخلَّفت مُشردين، ومُطلقين ومُطلقات، وأرامل، ومحرومين، وفقراء، ومفصولين عن وظائفهم، إنها (أم الخبائث) وكفىٰ، لا ينتهي المرء عندها، بل يتجاوزها ويتسلق أسوار الحرام ويقتحمها، وليس بغريب علىٰ المُبتلىٰ بها أن (يقتل، ويزني، ويسرق، ونحو ذلك من موبقات الأخلاق ورديء السلوكيات).

كما ليس بغريب علىٰ صاحب المخدرات ترك الواجبات من صلاة وصيام، وصدقة وإحسان ونحوها من العبادات ومكارم الأخلاق.

إن المخدرات والمسكرات ومقدماتها خرابٌ ودمارٌ للأسر، وشتات ومهدد للبيوت، وحين يُبتلىٰ قيّمُ البيت بها، أو يُبتلىٰ فرد أو أفراد من البيت بها، فتلك كارثة لا بد من الاستعجال في علاجها قبل استفحال الخطر.

والجار له دورٌ في إصلاح ووقاية جاره، وإمام المسجد عليه ألَّا يُقصر في التوعية والبلاغ المبين، والمدرسة بأساتذتها ومشرفيها ومرشديها عليهم كِفلٌ كبير في توعية الطلبة والطالبات بمخاطر المخدرات ومنظومتها، كما أن علىٰ الجهات الرسمية المعنية بمكافحة المخدرات أن تُجدد في أساليب توعيتها، وتحذر -بحكم خبرتها- من أنواعها وآثارها، وأن تصل توعيتهم للبيوت، والمدارس، والمساجد، وأماكن العمل الأخرىٰ، حتىٰ تعم ثقافة خطرها، ونبلغ بالوعي درجة يتأفف الناس منها، وحيث يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(١)، فيجب عدم التساهل في عقوبة المروجين والمتعاطين لها.

وهنا وقفة وتجديد في الخطاب والتوعية:

فمن الجميل والمفيد أن تتعاون المدرسة مع إدارات مكافحة المخدرات باستقدام شخص ابتلي بالمخدرات ثم تاب منها

---

(١) رُوي هذا الأثر عن عثمان ﷺ، كما في تاريخ المدينة لابن شبة (٣/ ٩٨٨) ولفظه: ما يزع السلطان الناس أشد مما يزعهم القرآن.

فيعرض تجربته ورحلة بؤسه بسبب هذا الداء وكيف بدأ خط الانحراف، وكيف كانت نهايته، والآثار التي خلفتها عليه وعلىٰ أسرته، وسمعته، ثم يُحذر غيره من سلوك هذا الطريق الآثم بلغة سهلة، وعاطفة، وعقلانية صادقة.

كما يمكن عرض برامج تلفزيونية وحوارات وندوات مرئية ومسموعة عن خطر المسكرات والمخدرات ومقدماتها تعتمد لغة الأرقام، وتكشف المخاطر والآثار، وتوضح أسباب المشكلة وبواعثها، وطرق علاجها والتوعية من شرورها.

ومن طرق التوعية رسائل «الجوال» المختصرة والمحذرة، وشمولية المناهج المدرسية لخطر هذا الداء وطرق الوقاية، والاهتمام بذلك في وسائل الإعلام المرئية، والمكتوبة والمسموعة.

إنها خطر تستحق تضافر الجهود، وتعدد الوسائل للتحذير والتوعية، حتىٰ لا يغرق المجتمع في وحلها، وتهدد البيوت الآمنة من داخلها.

٥. شدة الغضب والتصرف الأحمق:

الغضب نزغة شيطانية وشرارة نار تتوقد، وخُلُق ذميم، وسلوك يؤدي إلىٰ تدمير الأفراد وتشتت الأسر، نهىٰ النبي ﷺ عنه وكرر

وقال للذي طلب الوصية منه: (لا تغضب) ثم كررها مرارًا قال: لا تغضب[1].

وحين يشتد الغضب ويصاحبه تصرف أحمق فذلك مهدد كبير للبيوت، فلربما وقع الطلاق وتشتت شمل الأسرة.

وإذا كان من طبيعة الإنسان أن يغضب إذا استُغضب لا سيما وفي البيوت أحيانًا ما يدعو للغضب، فعلىٰ المسؤول عن البيت أن يضبط غضبه، وأن يكتم غيظه، وألا يستتبع الغضب تصرفات وسلوكيات لا تُحمد.

ومما يساعد علىٰ إذهاب الغضب ما يأتي:

أ- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦]، فبادر أخي المسلم إلىٰ هذه الكلمة حال الغضب (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

وحين تخاصم رجلان في زمن النبي ﷺ واشتد غضب أحدهما وانتفخت أوداجه، قال ﷺ: إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح ٦١١٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٦١١٥) ومواضع أخرىٰ، ومسلم (ح/ ٢٦١٠).

ب- تغيير الحال، فإن كان الغضبان قائمًا فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع، هكذا أمر النبي ﷺ وأرشد[1].

بل يحسن بالغضبان إذا غضب واشتد غضبه أن يخرج من بيته إلىٰ مكان آخر حتىٰ تهدأ نفسه، ولا يصدر منه أو من غيره سلوك خاطئ.

ج- الوضوء، فإذا كان الغضب جمرة من نار، فإنما يطفئ النار الماء[2].

د- سرعة الفيئة من الغضب حتىٰ لا يستمرَّ الاحتقان، ولا تُتاح فرص للشيطان، وتعود المياه الطبيعية إلىٰ مجاريها، وإذا عُدَّت حالات الغضب فخير أحوالها (بطيء الغضب سريع الفيئة).

هـ- أن يضبط الغضبان نفسه، فليس من القوة في شيء إمضاء الغضب وإطلاق الغضبان لنفسه العنان، إنما القوة والشدة في امتلاك النفس وضبطها، ولهذا قال ﷺ: (ليس الشديد بالصُرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (ح/ ٤٧٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود (ح/ ٤٧٨٤)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/ ٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٦١١٤) ومسلم (ح ٢٦٠٩).

و- طلب مرضاة الله وابتغاء وجهه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما من جرعة أعظم عند الله أجرًا من جرعة غيظ كتمها عَبدٌ ابتغاء وجه الله)[1].

ز- ومن الأمور المجربة أن يتفق الزوجان إذا تغاضبا أن يتسابقا للصلح فالصلح خير، وألا يتغلب أحدهما إذا طلب الآخر، فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، ويعفو ويصفح ولو كان الخطأ من غيره أكثر.

٦. كثرة الغياب عن البيوت، وعمران البيوت الوهمية:

لزوم البيت بعد أداء الواجبات المطلوبة للدين والدنيا، ليس عيبًا، بل جاءت السُّنة بلزوم البيوت حتىٰ يحفظ الإنسان نفسه ويحميها من موبقات الأقوال والأفعال في خلطة لا تأتي بخير، أو اجتماعات ليس فيها ذكرٌ لله، أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أو طلب علم أو تعليم ودعوة للخير.

ومن وصايا النبي ﷺ: (طوبىٰ لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكىٰ علىٰ خطيئته)[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح/ ٤١٨٩) مرفوعًا، ورواه البخاري في الأدب المفرد (ح/ ١٣١٨) موقوفًا، وقال الألباني في تعليقه علىٰ الأدب المفرد (موقوف، رجاله ثقات، وقد صح مرفوعًا).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤/ ١٤).

أما كثرة غياب الولي عن البيت دون ضرورة، فهو أحد مهددات البيوت، حيث تغيب التربية، وتقل المراقبة، ويُفتقد الناصح والموجه، والأهل والذرية أحوج ما يكونون إلىٰ جلوس الأب معهم يؤنسهم، ويوجههم، ويقضي حاجاتهم، ويراقب ويهذب أخلاقهم.

إن من الناس من اتخذ بيوتًا (وهمية) خارج بيته، فتراه في (الاستراحات) أو (المتنزهات) أو (المقاهي) يقضي وقتًا طويلًا بعيدًا عن بيته وشؤون أهله في أمور ليست مهمة، والأدهىٰ إن كانت محرمة، وربما يمرض المريض منهم فيتطوع أحد جيرانه لإسعافهم، ولربما قضىٰ حوائجهم غير والدهم، وأنىٰ لأبٍ تلك صفته أن يُربي ويصلح؟!

فإذا اجتمع علىٰ البيت غزو من خارجه، وكان الأب وربما الأم بعيدًا عن ولده، فلا تسأل عن تسرب الفساد إلىٰ هذه البيوت، بل ربما بدأ الأبناء والبنات بالتسرب والخروج عن البيت للبحث عن أماكن أخرىٰ يجدون فيها من يؤنسهم أو يقضي حوائجهم، فإن تلقّفتهم أيدٍ وبيئات خبيثة فلا تسأل عن حجم الانحراف لمن تسربوا!

وهكذا كثرة سفريات الآباء وغيابهم عن البيوت يخلق جوًّا من الفراغ في البيت وربما كان سببًا في الضياع والشرود.

وفي مقابل هذا السلوك السلبي، فهناك مَن إذا غابوا أو سافروا -ولو قليلًا- كانوا على صِلة ببيوتهم يطمئنون ويوجهون ويُشعرون بأنهم حاضرون وإن كانوا غائبين.

ومن الخطوات الإيجابية تعاون الجيران وتكامل أدوارهم، فإذا غاب أحدهم قام الجار بدور جاره في الإشراف والمراقبة، فلا يُحس أهل البيت بغياب والدهم، لكن ذلك مرهون بصفاء الود بين الجار وجاره، وشعور الجيران بمسؤوليتهم وحق الجار عليهم (وما زال جبريل عليه السلام يوصي محمدًا ﷺ بالجار حتى ظنه أنه سيورِّثه)[1].

فهل يليق بجار يكاد يحترق بيت جاره وهو غافل عنه؟!

إن على الآباء والأمهات أن يحتسبوا جلوسهم في بيوتهم ومع أولادهم مُربين، ومحتسبين الأجر، وإذا كان محمد ﷺ في بيته يخدم أهله ﷺ، ويخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل ما يعمله الرجال في بيوتهم[2]، فهو قدوتنا في بيوتنا!

٧. السائقون والخدم:

وهؤلاء (نعمة) و(خدمة) و(رحمة) و(تسخير) حين يقومون بعدد من الواجبات التي تشق على الأب أو الأم، وهؤلاء الخدم منذ

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٦٠١٤) ومسلم (ح/ ٢٦٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (ح/٢٤٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٨٦/٢).

القِدَم، وبيوت الأنبياء -عليهم السلام- لم تخلُ منهم، وأبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء نماذج لوجود الخدم في بيوتهم، لكن الخطورة تكمن حين تجاوَز هؤلاء السائقون الحدود، أو تكون الخادمة غير أمينة وتمارس الفساد في بيت كفيلها.

فالسائق قد يخلو بالمحارم ويقترف المنكر، ويشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وحين يغفل وليُّ البيت وسيدة البيت عن هذا المفسد يرعىٰ في الحِمىٰ ويهلك الحرث والنسل، ويحدث عارًا في البيوت لا يغسله الدهر، والسبب غفلة أهل البيت، وسوء هذا السائق، فلنحذر من خلوة السائق بنسائنا، (فما خلا رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)[1].

ولا نُفرط في إعطاء الثقة علىٰ حساب حُرماتنا وقيمنا وتعاليم ديننا!

وكذلك الخادمات الفاسدات يُحدثن في البيوت من التصدع والبلاء والفتنة ما تشيب له النواصي، وقد توقع الزوج أو غيره من أهل البيت في حبائل الزنا -لا قدر الله- وقد تصنع من (العُقَد، والنفث فيها، وألوان السحر أو ما دونه) ما يُشتت الأسرة، ويصيبها في دينها ودنياها، وكم (سحرن) وكم (قتلن) وكم وكم من جرائم

(١) أخرجه الترمذي (ح/ ٢١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٩).

تتحدث عنها الإحصاءات والجهات الرسمية بشكل يندىٰ له الجبين!

وهنا علىٰ أصحاب البيوت أن يحذروا، ويراقبوا، وقبل ذلك أن يختاروا، ويُعَلِّموا، ويدعوا الخادمات بالحسنىٰ والمعاملة الحسنة، والوفاء بالحقوق، وعدم تحميلهن ما لا يُطقن من العمل، فيلجأن للانتقام بطرائق تُهدد أمن البيوت وإيمانها.

وليس من الحكمة والعقل إطلاع السائقين والخدم علىٰ أسرار البيوت الخاصة، مع أهمية إكرامهم وبذل المعروف لهم، وعدم إشعارهم بالاحتقار والدونية.

أما إن اجتهد أهل البيت في إسلام كافر أو كافرة، أو علَّمُوا جاهلًا أو جاهلة ما ينفعهم، فذلك تفوُّق في التربية، وتميز في الدعوة.

٨. خلاف الزوجين وانحراف الأولاد:

إذا كان تفاهم الزوجين وتعاونهما أحد عوامل التربية -كما سبق- فإن كثرة خلاف الزوجين وتنازعهما معوِّق للتربية ومهدد بجنوح الأولاد أو بعضهم -لا قدر الله-.

وهذا الجنوح أو الانحراف قد تكون له أسباب كثيرة؛ منها: ضعف التربية، ورفقاء السوء، وفتنة الشهوات أو الشبهات، ووسائل الاتصال وبرامجها الغازية، إلىٰ غير ذلك من الأسباب،

ولكن المؤلم حين يكون هذا الانحراف بسبب خلافات الزوجين وكثرة مشكلاتهما وتنازعهما، والأولاد يسمعون ويرون فيتأثرون بهذه الأجواء المزعجة لهم، وربما أصيبوا بالإحباط والانتكاسة حيث يغفل عنهم الوالدان بمشكلاتهما.

وأيضًا خلافات الزوجين قد يكون لها أكثر من سبب: مادية، أو نفسية، أو وشاية كاذبة، أو عين حاسد، أو شعور كل منهما أن له حقًّا على الآخر لم يُقدره، أو زواج لم تتحمله الزوجة الأولى، أو غير ذلك من الأسباب.

فعلى الزوجين أن يترفقا، ويتطاوعا، ويعفوا ويصفحا ويشعرا أن ما اختلفا عليه أقل مما ينتج عنه من آثار سيئة، وعليهما أن يتصورا أجر الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس عند الله تعالى.

إن أي بيوت لا تخلو من مشكلة، وأي زوجين لا بد أن يقع بينهما نوع من الاختلاف -أحيانًا- فنحن بشر، وبيوت من هم أفضل منا وقع فيها شيء من ذلك، حتى همَّ النبي صلى الله عليه وسلم بطلاق نسائه، وآلى منهن، ولكن حل هذا الاختلاف، وطرائق فض النزاع هو الذي ينبغي أن يصير إليه الزوجان، حماية لأنفسهم من نزغات الشيطان، وحماية لبيوتهم من التشتت والانحراف.

وينبغي ألَّا يكون الطلاق حاضرًا عند أي نزاع، فهو أبغض الحلال إلىٰ الله[1]، وهو أحد عوامل تشتت الأولاد وربما جنوحهم.

فإن عجز الزوجان عن حل مشكلاتهما -وهما أولىٰ بالحل والصلح- فليختارا من يوثق بدينه وعقله ليصلح بينهما، أو يختارا حكمًا من أهله، وحكمًا من أهلها، ليصلح بينهما والصلح خير.

فإذا تصالح الزوجان وتراضيا، وعلىٰ مشهد من الأبناء والبنات، فعلىٰ الأبوين أن يرقبا مسيرة أولادهما، فإن لاحظا من أحدهم ميلًا للجنوح أو بدايات انحراف فليعالجا ذلك في خطواته الأولىٰ، قبل أن يستفحل الداء، وينتقل إلىٰ عناصر أخرىٰ في البيت فتتعاظم المشكلة، وتهدد البيوت المطمئنة.

٩. الخلل في اقتصادات البيوت:

المال نعمة من الله وسبب من أسباب سعادة البيوت، فمن المال يبني الرجل بيته ويكمل حاجياته، ومنه يُطعم الولي أهله وولده، وبالمال تُقضىٰ الحوائج، ويُستغنىٰ عن مسألة الناس.

---

(١) أخرجه أبو داود (ح/ ٢١٧٨)، وابن ماجه (ح/ ٢٠١٨)، وهو مرسل كما يقول أبو حاتم والدارقطني، انظر: العلل لابن أبي حاتم (٤/ ١١٨)، والعلل للدارقطني (١٣/ ٢٢٥).

ولكن ذلك مرهون بالاعتدال في النفقة، والتوسط بين الإسراف والتقتير ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧].

إذ من الناس من يُسرف في الإنفاق -وربما كان في كماليات وليس أساسيات- فلا يفيق إلا وقد تراكمت عليه الديون، ولاحقته الحسرات ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩].

فإذا وقع هذا ضعُف أو أهمل التربية، فزادت الأمور سوءًا، وهددت الأسرة في رزقها المادي، وقيمها وأخلاقها، علىٰ أنه أحيانًا يقع عكس الإسراف، وهو التقتير والبخل والشح الذي يحرم الأولاد والأهل أقل حقوقهم الممكنة، فيترتب علىٰ ذلك انحراف آخر، ولربما لجؤوا إلىٰ خارج البيت بالمسألة، أو عرضوا أنفسهم لأمورٍ لا تحمد عقباها.

وإذا كان المال مال الله، فالمسلم والمسلمة مسؤولون عن هذا المال من أين اكتسبوه وفيما أنفقوه، وكما ينبغي أن يكون الإنفاق فيما أحل الله، وباعتدال وتوسط فكذلك ينبغي أن يكون الاكتساب مما أحل الله.

وهنا لفتة وتحذير؛ فبعض الرجال يتقحم الحرام في سبيل الحصول علىٰ المال، فلا يُبالي بالربا وتعاملاته، والله حرمه بل هدد متعاطيه ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩].

وفي عالم اليوم كثرت طرائق الربا، وكثر ممولوه، فالحذر الحذر منه، فهو ماحق للبركة، مُفقر للشعوب والدول ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]، والربا وإن كثر فعاقبته إلىٰ قِلٍّ، وقد يكون الربا أحد مهددات البيوت من حيث يشعر أصحابها أو لا يشعرون، فليتقوا الله ويذروا ما بقي من الربا، ففيما أحل الله غُنية عما حرَّم.

وكذا التعاملات التجارية الأخرىٰ (المحرمة) تُذهب البركة وتهدد البيوت، كالغش، والنصب، والاحتيال، وجمع المال من أي مصدر مشتبه، فمن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يرتع فيه.

إن التوازن في نفقات البيوت يحقق أمنًا وسعادة لأهلها بإذن الله، ومما يهدد البيوت التقليد للآخرين، ومتابعة التقليعات الاقتصادية والانسياق وراء مطالب السفهاء ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء:٥] والاستغراق في الكماليات، والإسراف في طلبات المطاعم، والوجبات السريعة، ومتابعة الموديلات في الأثاث واللباس، ونفقات الرحلات الخارجية، والهدر في

الحفلات والولائم والمناسبات...، كل ذلك ومثله كثير من مظاهر الإسراف، وعدم التوازن والاقتصاد في نفقات البيوت يحدث خللًا في البيوت، ويصرف عن الواجبات الأخرىٰ...، إذ النساء مشغولات بهذه النفقات الكمالية، والرجال مهمومون بالديون التي أثقلت كواهلهم وأصبحوا مهددين بالسجن أو الأداء، وأنىٰ لهؤلاء وأولئك أن يهتموا بالتربية ويتفرغوا للمفيد في بيوتهم، ولربما كان هذا التصرف الخاطئ في النفقات سببًا لتمزق الأسرة، ومهددًا لوجودها واجتماعها، فلنترفق ولنقتصد، فإن فاض عن حاجتنا الرئيسة فلنتصدق به علىٰ الفقراء والمساكين والأرامل والمحتاجين -لا سيما الأقربين منهم- فتلك نفقة مخلوفة ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩].

ولا يغيب عن بالنا أن النفقة علىٰ أهل البيت صدقة، فأعظم درهم ينفقه المرء ما أنفقه علىٰ أهل بيته، قال ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به علىٰ مسكين، ودينار أنفقته علىٰ أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته علىٰ أهلك)[1].

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٩٩٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ثمرات التربية في البيوت

لا شك أن البيوت مشاريع ينبغي أن تُستثمر، وبذل الوسع في تربية ساكنيها من أعظم المشاريع والتجارة الرابحة.

وإذا كان بعض الناس قصرت همته لثمرات الدنيا، واكتفىٰ بحرثها، فالموفقون من يسعون لحرث الدنيا والآخرة، والعناية بتربية البيوت تربية صالحة تحقق ثمرات في الدنيا والآخرة، وإليك بعض ثمراتها:

١ . القيام بالواجب الشرعي:

نحن مُؤتمنون علىٰ بيوتنا، ومسؤولون عما استرعانا الله إياه، وحين نُحسن التربية ونجتهد في أساليبها وآلياتها، ودفع المخاطر عن هذه البيوت فنحن مأجورون ومجاهدون -وإن لم نقاتل بسيوفنا-.

ويقع الإثم حين نُهمل تربية أولادنا، وتضيع بيوتنا، وسنسأل عن هذه الأمانة التي أضعنا، وفي الحديث: (إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيَّع؟ حتىٰ يسأل الرجل عن أهل بيته...)[(١)].

---

(١) أخرجه ابن حبان (ح/ ٤٤٩٣)، من حديث الحسن البصري عن النبي ﷺ، فهو مرسل، وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦٥).

وما ظنك أيها الأب حين يقف لك ابنك في عرصات القيامة حجيجًا لك، ويقول: إنني أضعت الصلاة لأن أبي لم يكن يأمرني بها، ولم أُعظم أمر الله وأمر نبيه ﷺ لأن أبي لم يوجهني لذلك؟ وما رأيكِ أيتها الأم حين تكون البنت خصمكِ يوم القيامة في التقصير بحجابها، وضعف حيائها، وفتنتها للرجال، وتقول: إن أمي لم تربني منذ الصغر علىٰ ذلك؟

إن مسؤولية الأبوين في البيوت وتربية الأبناء والبنات، ليست محل اختيار لنا نقبل أو نترك، نقوم بها أو نهملها، بل هي مسؤولية وأمانة، وبقدر ما نُقصر فيها نُقصر بواجب شرعي، ونشعر بألم الإهمال في الدنيا وحسرة المآب في الآخرة.

والواقع المشهود يؤكد أن الذين يُعنون بتربية بيوتهم من أسعد الناس عيشًا في الدنيا، ومن أعظمهم أجرًا ودرجات في الآخرة، ولن يَتِرَهُم ربك من أعمالهم شيئًا في الآخرة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧].

٢. حفظ الأسرة من الضياع:

إذا كان ثمة بيوت تعيش حالة من الضياع والفوضىٰ والفساد، فهذا مؤشر لضعف التربية، وأحد الأدلة علىٰ ضعف مستوىٰ الأبوين في العناية ببيتهما، أما العناية بالبيوت والاهتمام بتربية الأجيال تربية إيمانية وسلوكية متميزة فمؤشر للصلاح ودليل الوعي.

إننا حين نهتم ببيوتنا، ونولي عناية لتربية أسرنا نفوِّت الفرص علىٰ المتربصين، ونقطع الطريق علىٰ لصوص البيوت -وهم كثير-، وهل غُزيت بيوت المسلمين إلا من الجهل وضعف العلم وتدني مستوىٰ التربية والوعي؟

إنه ما من شيء يُقاوم جهود الأعداء -أيًا كانت هويتهم أو مسمياتهم- أكثر من التربية المتكاملة الجادة، تلك التي تجعل من الصغير والكبير والذكر والأنثىٰ خطوط دفاع أمام رياح التغيير العاتية المفسدة.

ولو أن كل بيت حافظ علىٰ قيمه وأخلاقه، واستشعر العزة بإسلامه، وشعر أولياؤه بمسؤوليتهم في التربية لما وجدت خطط الأعداء طريقًا لإفساد البيوت.

إننا كثيرًا ما نشكو من كثرة الفساد، وخبث المفسدين، وأثرهم في المجتمع، ولو أن كل صاحب بيت حافظ علىٰ مملكته (بيته) لما شاع الفساد ولما نجح المفسدون، ولما خربت البيوت وضاع البنون والبنات؟

إنها ممالك ومحميات بأيدينا -بعد توفيق الله- مغاليقها، فلا يستطيع مفسدٌ أن يتسلق أسوارها، وإن قُدر له أن يعتدي عليها في جُنح ظلام، أو حال غفلة منا، وجد ما يسوؤه من المقاومة، حيث

من يسكنها لديهم مناعة وعندهم قدرة على المقاومة، بفضل الله أولًا ثم بفضل ما زرعنا فيهم من الخير، وحذرناهم من الشرور والفتن.

وهنا فليتنا بدل أن نكثر من التشكي من الفساد، ونلوم المفسدين، ونقتل أنفسنا بالإحباط، ونشكو من فساد الزمان، ليتنا بدل هذا نقوم بما يجب علينا في بيوتنا، ففي ذلك خلاص ووقاية، وفيها حفظ للأسر من التشتت والضياع.

٣. إخراج أجيال تنفع المجتمع والأمة:

المجتمع عبارة عن مجموعة من الأفراد، والأمة مجموعة من المجتمعات، والمجتمع والأمة الإسلامية لا ينقصها العدد الرقمي الكمي، لكنها أحوج ما تكون للرقم الكيفي، فالغثائية والأرقام الهامشية لا تفيد الأمة ولا تصلح بها المجتمعات، ولا تنكأ الأعداء وتقاوم مكرهم.

ومن ثمرات التربية في البيوت إخراج أجيال ينفع الله بها المجتمع ويصلح أحوال الأمة، وذلك أن التربية الصالحة تخلق أفرادًا تعي مسؤولياتها وتحس بواجباتها، وتدرك المخاطر المحدقة بها، وتدفع هذه المخاطر بالحسنى، وتتجاوز خطط الأعداء بسلام وأمان.

إن مجتمعات المسلمين أحوج ما تكون إلىٰ شباب وفتيات نتاج تربية إيمانية متكاملة، تتمثل في الإعداد العلمي لتزيح الجهل، والإعداد القيمي والأخلاقي لتنأىٰ بنفسها عن الضياع، والشذوذ والانحراف.

إن بيوتنا حين تضعف في التربية تخرج أجيالًا قابلة للغزو مستسلمة للعدو، لا تتجاوز هممها حدود الشهوات، وربما وقعت في منحدر الشبهات.

لكن التربية البيتية الصالحة تخلق أجيالًا إيجابية تساهم في نشر العلم والوعي، وتدعو بسلوكياتها المتميزة قبل أن تدعو بكلماتها الوعظية، ويحسب لها العدو ألف حساب، وتستعصي علىٰ الذوبان في أتون الثقافات والقيم الوافدة.

إنها البيوت؛ الحصون الأولىٰ والمنطلق المبكر لنهضة الأمة وإعادة الريادة لحضارتها، فلنصلح بيوتنا، ولنهتم بتربية أبنائنا وبناتنا فهي أعظم سلاح لنا في معركتنا مع شياطين الإنس والجن، والسدُّ المنيع -بإذن الله- أمام الهجمات الشرسة والمستمرة وغارات التغريب من أعداء الأمة علىٰ تنوع مللهم ونحلهم وتوجهاتهم.

٤ . رصيد الوالدين في الحياة وبعد الممات:

أكبر المستفيدين من تربية الأولاد هما الوالدان، وأكثر المنتفعين بصلاح البيوت هم المصلحون لها -بتوفيق الله لهم-.

ومن الأمور التي ينبغي ألَّا تغيب عن المربين -وفيهم الوالدان- أن الأولاد مشروع عُمر يستحق كل عناية، ويستلذ به كل نصب، وإن إصلاح البيوت هدف إستراتيجي حري أن تكون له الأولوية في حياتنا.

إن صلاح الولد فخر للوالد ومنقبة للأم في الدنيا، فهم إن أمروه أجابهم، وإن سألوه أعطاهم، وإن حضر سرَّهم، وإن غاب وسافر دعا لهم، وحفظ عهدهم.

إن التربية الصالحة تخلق إيجابية في الأولاد، فهم عماد آبائهم في قضاء حوائجهم، وتمثيلهم في مناسباتهم، ويُعتمد عليهم في النوائب، ويشاركون آباءهم وأمهاتهم في الحضر والسفر، نفوسهم رضية أبيَّة، وألسنتهم عذبة نقية، وقلوبهم كبيرة زكية، بعكس غيرهم ممن لم يستفيدوا من التربية، فهم جهد، وبلاء، وفتنة، لا يقضون حاجة، ولا يسعدون في اللقاء والمناسبة، وإن تحدثوا أساؤوا، وإن حضروا أو غابوا لم يُفقدوا، بل ربما تمنىٰ الوالدان أحيانًا غيبتهم حتىٰ تغيب معهم مشكلاتهم، وهؤلاء وإن آذوا والديهم فهم غير ميؤوس منهم، فلربما استيقظوا من غفلتهم وعادوا نماذج للبر والإحسان مع والديهم.

ولئِن كانت هذه بعض ثمار الولد الصالح في الدنيا، فالآخرة أعظم وأبقىٰ، فإذا رحل الوالدان من هذه الدار فمن أعظم ما يخلفانه

لآخرتهما (ولد صالح يدعو لهما) وقد صح في الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)، وذكر منها (ولدًا صالحًا يدعو له)[1].

وثمة مزية للولد الصالح فقد يكون سببًا لرفعة درجة والده في الآخرة، وقد ورد أن الوالد تُرفع درجته في الجنة، فيقول: وأنىٰ لي هذا؟ فيقال: بدعاء ولدك واستغفاره لك[2].

إن الولد الصالح وفيٌّ لوالديه أحياءً وأمواتًا، وتلك سمة الأنبياء والنبلاء، فيوسف عليه السلام ما زال يذكر آباءه بخير وهو في السجن ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [يوسف:٣٨]، وإسماعيل عليه السلام كان نموذجًا للصدق والتضحية والاستسلام لأمر الله وطاعة أبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

وما زال الصالحون يذكرون والديهم بخير، يحسنون ويتصدقون ويدعون...، فتلك ثمرات يانعة للتربية، تشحذ الهمم، وتعين علىٰ الصبر.

---

(١) أخرجه مسلم (ح/ ١٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد (ح/ ١٠٦١٠)، والطبراني في الدعاء (ح/ ١٢٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (ح/ ١٣٤٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٣٤).

٥. تحطيم وتهافت مشاريع التغريب والغزو الفكري على عتبات التربية:

لا شك في عداوة غير المسلمين للمسلمين، والله يقول: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة:٢] ويقول: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨] ويقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠].

ولا شك كذلك في عداوة المنتسبين للإسلام ظاهرًا وهم يبدون العداوة باطنًا، من المنافقين وأصحاب الملل والنحل الفاسدة، والله تعالىٰ يقول عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

وواقع اليوم يشهد غزوًا وتغريبًا متنوعًا، ويستهدف فيما يستهدفون البيوت المسلمة، ويُركز علىٰ الناشئة من الجنسين، وأحد المصدات المهمة لهذا التغريب تحصين البيوت بالتربية، وإعطاء جرعات وقائية لمن فيها من الأهل والذرية، والواقع كذلك يشهد أنه كلما توافرت التربية السليمة في البيوت كانت قابلية التأثر للغزو أقل، والعكس بالعكس، فحين تضعف التربية تجد هذه الموجات الغازية طريقها للبيوت بكل يسر وسهولة.

ومن هنا وجب إحكام التربية حتىٰ تتهافت علىٰ عتبات البيوت مشاريع العلمنة والتغريب، وعلىٰ المربين والمربيات أن يعنوا بتحصين وتثقيف بيوتهم عن التسلل الخارجي والداخلي.

ولنتأمل كيف حمىٰ النبي ﷺ -وهو المربي الأول- الصحابة عن المؤثرات الخارجية حين رأىٰ مع عمر ﷺ قطعة من التوراة يتأملها، فنهاه النبي ﷺ وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب)[1].

إنه الوعي بخطر الثقافات الوافدة، والنهي عن مجرد الاقتراب من الأفكار المنحرفة.

إن التربية السليمة في البيوت ترسخ معاني الولاء للدين الحق والقيم الحقة، وتقاوم كل طرائق التبعية والتقليد الأبله، فلنهتم بالتربية في البيوت حتىٰ تتحطم علىٰ أسوارها مشاريع التغريب والعلمنة الغازية.

٦. المساهمة في دعوة العشيرة والأقربين:

دعوة العشيرة والأقربين إلىٰ الخير وتحذيرهم من الشر جاءت بها نصوص الوحيين، وحفلت بها مواقف السيرة النبوية، فقد جاء

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (ح/ ٢٦٤٢١)، وأحمد (ح/ ١٥١٥٦)، والدارمي (ح/ ٤٤٩)، والبيهقي في الشعب (ح/ ١٧٥)، وقوىٰ إسناده الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٤).

الأمر للنبي ﷺ بدعوة عشيرته الأقربين ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤].

ولم تكن مسؤوليته وبلاغه للأمة وعموم رسالته للثقلين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] بمانع أو متعارض مع دعوته لعشيرته الأقربين، ومارس رسول الله ﷺ الأمر بالبلاغ والدعوة للعشيرة والقبيلة مع صحابته ﵃، فأبو ذر ﵁ أول ما أسلم يكلفه النبي ﷺ أن يرجع إلىٰ قومه يخبرهم ويدعوهم للإسلام(١).

وقد امتثل أبو ذر ﵁ وأسلم نصف (غفار)، ثم اكتمل إسلام نصفهم الآخر بعد مقابلة النبي ﷺ، بل أسلم بإسلام غفار قبيلة أخرىٰ وهي (أسلم)، ولهذا قال النبي ﷺ: (غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله)(٢).

وكذلك (الطفيل بن عمرو الدوسي ﵁) ذهب إلىٰ قومه دوس منذرًا وداعيًا بأمر النبي ﷺ، وما زال يدعوهم ويعالج أخطاءهم، ويتردد علىٰ النبي ﷺ يطلب الدعاء لهم أو عليهم، حتىٰ أسلمت (دوس) بدعاء النبي ﷺ (اللهم اهدِ دوسًا وأتِ بهم)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٣٨٦١)، ومسلم (ح/ ٢٤٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح/ ١٠٠٦)، ومسلم (ح/ ٦٧٥) من غير ذكر الشاهد.
(٣) أخرجه البخاري (ح/ ٤٣٩٢)، ومسلم (ح/ ٢٥٢٤).

ودعوة العشيرة والأقربين أصبحت في زماننا مما تيسر أمره، واشتدت الحاجة إليه، ولكن الذي يؤسف له ضعف مشاركة الخيرين وطلبة العلم فيه، فترىٰ حضورهم كغيرهم دون أثر إيجابي -إلا من رحم الله- ومما يزيد من فاعلية المشاركة في دعوة العشيرة والأقربين أن تكون البيوت نفسها امتلأت علمًا ودعوة وتربية، فتفيض من خيرها ودعوتها لغيرها من أقاربها، إذ تحس هذه الأسر التي أخذت حظها من التربية بدورها الإيجابي مع عشيرتها الكبرىٰ، فتأخذ زمام المبادرة بتقديم البرامج النافعة للأسرة.

وأنىٰ للأسرة التي فرَّطت في التربية والدعوة أن تساهم في دعوة غيرها وهي محتاجة للدعوة والتربية قبل غيرها.

إن المساهمة في دعوة العشيرة والأقربين وتقديم الخير والتحذير من الشربات ضرورة في زمن الغزو والاختطاف الأسري، وتشتد الحاجة إليه مع تحديات (العولمة) واستهداف (الأسرة المسلمة).

وهنا تتأكد الحاجة لتربية بيوتنا علىٰ الخير، لتكون منطلقًا للمساهمة في دعوة العشيرة والقبيلة، فتلك واحدة من ثمار العناية بالبيوت وتربية أفرادها علىٰ المشاركات الإيجابية، فهل نحن فاعلون؟

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. صحيح البخاري (الجامع الصحيح): محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

٣. صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية (١٤٠٠هـ).

٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

٥. تفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)،الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٦. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت٦٧١هـ، الطبعة الثالثة (دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٧هـ).

٧. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البناء طباعة دار الشعب، القاهرة.

٨. البيوت في القرآن الكريم: سعدون جمعة الحلبوس، نشر: دار الزمان، ط: الأولىٰ ١٤٢٤هـ.

٩. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، أشرف علىٰ تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، وحقق أجزاء الكتاب: جماعة منهم حسين الأسد وصالح السمر، نشر: مؤسسة الرسالة ط١ (١٤٠١هـ).

١٠. السيرة النبوية: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي: حسام الدين المقدسي، نشر: دار مكتبة الهلال، بيروت.

١١. الطبقات الكبرىٰ: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت٢٣٠هـ)، نشر: دار صادر، بيروت.

١٢. المسند: الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، نشر: دار صادر، المكتب الإسلامي.

١٣. مختصر صحيح مسلم: الحافظ المنذري (زكي الدين عبد العظيم) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي / بيروت، ط: الثالثة ١٣٩٧هـ.

١٤. فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)،

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه واستقصىٰ أطرافه: محمد فؤاد عبد الباري، وقام بإخراجه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب: نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء.. المملكة العربية السعودية.

١٥. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق الدكتور: طه محمد الزيني، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر، الطبعة الأولىٰ (١٣٩٦هـ).

١٦. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، نشر: المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي، ط: الأولىٰ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٧. صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج/ الرياض، ط:١ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

١٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح مكتبة دار البيان (١٣٨٩هـ).

١٩. زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم: أبو عبد الله

محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية ط١. (١٣٩٩هـ).

٢٠. شرح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي (ت:٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١. أحكام القرآن: عماد الدين بن محمد الطبري (الكيا الهراسي ت٥٠٤هـ) تحقيق: موسىٰ محمد علي، وعزة علي عيد عطية، نشر: دار الكتب الحديثة/ مصر.

٢٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي/ بيروت، ط: الأولىٰ ١٣٩٩هـ.

٢٣. صحيح الأدب المفرد: (للإمام البخاري) تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط: الثانية ١٤١٥هـ، نشر: دار الصديق/ الجبيل: المملكة العربية السعودية.

٢٤. مقومات البيت السعيد: محمد بن عبد الرحمن الزير، ط:

الأولىٰ ١٤٣٩هـ.

٢٥. ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت: محمد بن صالح المنجد، ط: الأولىٰ ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، نشر: مجموعة زاد للنشر.

٢٦. أدب المعاملة في السيرة النبوية: أ. د. سليمان بن حمد العودة، ط: الأولىٰ ١٤٢٨هـ، نشر: دار الضياء الخيرية ببريدة.

٢٧. هذه البيوت لا تدخلها الملائكة: إبراهيم الجمل، نشر: المكتبة الوقفية، أمام الباب الأخضر/ سيدنا الحسين.

٢٨. من صحيح السيرة والهدي النبوي في كتب السنة: ط: الأولىٰ ١٤٣٧هـ نشر: كرسي الشيخ عبد الله الراشد لخدمة السيرة والرسول ﷺ/ جامعة القصيم.

٢٩. المختصر من صحيح السيرة النبوية: أ. د. سليمان بن حمد العودة، ط: الأولىٰ ١٤٤٠هـ، نشر: دار رسالة البيان للنشر والتوزيع.

٣٠. أحكام وآداب دخول البيوت: د. عبد الكريم بن يوسف الخضر الطبعة الأولىٰ ١٤٣٩هـ

٣١. موسوعة صحيح أحاديث الشمائل النبوية: د. همام عبد الرحمن سعيد وابنه، الناشر: مجلة البيان/ الرياض، ط: الأولىٰ ١٤٣٢هـ.

كيف نجعل من بيوتنا سكنًا؟

وقفات ولطائف في تربية البيوت والمخاطر التي تهددها

هذا الكتاب وقفاتٌ حول البيوت وتربيتها، والتحديات التي تواجهها، رصد فيه المؤلف طرقَ وآلياتِ تربية البنين والبنات، كما رصد جملةً من المخاطر التي تهدد البيوت، وبيَّن آثار التربية وثمارها.

لا يستهدف الكتاب شريحة معينة، بل يُخاطَبُ به كل حريص على التربيةِ، واستصلاحِ البيوت، وتلمُّسِ سبيل الإصلاح.

هذا الكتاب خطوةٌ عمليةٌ في الإصلاح، واستثمارٌ أمثلُ في البيوت والذرية، بعيدًا التلاوم والتحسر والإحباط من خطط الأعداء لإفساد البيوت المسلمة، ويُعنى بالعمل المثمر وتحديد المسار، واعتبار البيوت والتربية فيها «مشاريع» تستحق الاهتمام والعمل.

(١٦)

آفاق المعرفة
AFAQ ALMAARRFA

المملكة العربية السعودية - الرياض - الرمز البريدي: ١٢٢٧٤
سجل تجاري: ١٠١٠٢٥٨٨٣٨ هاتف: ٩٦٦١١٢٢٥٥٤٧٣+ فاكس: ٩٦٦١١٢٢٥٠١٦٧+
www.afaqpub.com info@afaqpub.com

9786030332793

ردمك: ٣-٣٢٧٩-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

شركة مطبعة النرجس - ت: ٠٥٠٥٢٧٨٤٦١